القصص القرآني بين اللاواقعية والقصدية

دراسة قرآنية

م . رزاق مهدي حمادي السعدي

مديرية تربية محافظة كربلاء

الكلمات المفتاحية : القصص القرآني، اللاواقعية، الاتجاه الرمزي، الاتجاه القصدي، كمال الحيدري.

مستخلص البحث

القصص القرآني هي كل الاحداث والوقائع للأمم الماضية، والنبوات السابقة، وللقصص القرآني اهمية كبيرة فهو يرينا المنهج القويم الذي سار عليه جميع الانبياء، واظهار الهدف السامي المتمثل في توحيد الناس تحت راية التوحيد، وتخليص البشرية من الجهل والتخلف ،هذا الجهل الذي خيم على مجتمعاتنا الاسلامية نتيجة لابتعادها عن قيم الدين السامية، وما ان استبشرنا بحركات التجديد الفكري التي تأملنا منها تخليصنا من الخرافات والعادات السيئة في المجتمع حتى فوجئنا من مدها الجارف الذي نال من كل شيء، وجدناها تحاول نزع القداسة الإلهية من القرآن، فتعده نصاً اعتيادياً مطروحاً امام النقاش البشري، كان هذا محصلة لما ظهر في الساحة الاسلامية من تيارات فكرية عدت القصة القرآنية مجرد صورة تمثيلية ادبية او رمزية لا واقع تاريخي لها ،او انها اسطورة من الاساطير، او ان كل التفاصيل التي بذل فيها ال البيت والسلف الصالح في فهم القصص القرآني غير مؤهلة للوصول للهدف المنشود منها، هذا الهدف لا يعرفه الا من ذهب باتجاه القصدية للغة، فألغى كل ما تعارف في مضمار اللغة من ترادف للكلمات واستعارة وكناية ومجاز، حتى اوصلنا هذا الفكر بان نعد بطل الملحمة الاسطورية كلكامش هو عينه ذو القرنين الذي ذُكر في القرآن، وخير دليل على بطلان كل تلك الاتجاهات انها لم ترد في اخبار وروايات آل البيت وخلف النبي صلى الله عليه واله .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وافضل الصلاة والسلام على نبينا محمد واله الطيبين الطاهرين، وبعد:

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان، واودع فيه الفطرة السليمة، التي ترشده اليه ، فالطريق اليه سبحانه يبدئ من معرفة الانسان نفسَه، فاذا عرف نفسَه عرف ربَه، وما الكواكب والنجوم والجبال والاشجار والانهار والكائنات الحية إلا علامات واثار على وجوده سبحانه ،ولقد مَنَّ الله سبحانه على عباده أن ارسلَ رسلاً مبشرين ومنذرين ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٦٥،ليستنقذهم من طريق الضلالة الى طريق الهداية، ثم اردف ذلك بأنزال الكتب السماوية لتنير طريقهم ولتبين لهم كل شيء ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ النحل: ٨٩، والقران الكريم من اعظم تلك الكتب، فقد تنوعت فيه اساليب الهداية، التي نالت القصص القرآني فيها حيزاً مهماً، ففيها العبرة والموعظة الحسنة، كما انها السجل لما دار في تلك الايام المنصرمة، إذ

سجلت لنا صراع الحق المتمثل بالأنبياء والاولياء والصالحين مع معسكر الكفر والضلالة المتمثل بالشيطان واتباعه من الجن والانس ، كما انها جاءت لتسلي الرسول وتصبره على هذا النهج الالهي المشترك بين جميع الانبياء.

ومن منطلق تجديد الفكر، ونبذ الخرافات والاساطير، ومواكبة الفكر وتحرره من أغلال الظلام، التي خيمت على مجتمعاتنا الاسلامية سلط بعض دعاة التحرر اسلحتهم على المقدسات، فنال القرآن الكريم شيء منها، وكان نصيب القصص القرآني اتهامَه بان كل ما جرى فيه من وقائع واحداث دارت في تلك الامم ليس لها وجود تاريخي؛ لأنها لا تعد الا امثال لاستخلاص العبرة والموعظة ليس الا، فكل قصص القرآن غير واقعية صيغت بصورة تمثيلية أو اسطورية ادبية أو رمزية لها اشارات ورموز تنفعنا في حياتنا. وهذا كلام يسهل تفنيده من قبل كل لبيب،فبمجرد التأمل في الآيات القرآنية تستطيع ان تثبت نقيض كلامهم ،فكيف ينكر اصحاب هذا الاتجاه الحقائق التاريخية في هذه الآية ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ إبراهيم: ٣، فالحقائق التاريخية في الآية المباركة شاخصة الى يومنا هذا، هل ينكرون وجود الكعبة التي بناها النبي ابراهيم عليه السلام، هل ينكرون الحقيقية الثانية التي تتحدث عن تاريخ المنطقة الجافة.

وعلى نقيض ذلك ظهر اتجاه اخر يوكد الواقعية التاريخية لتلك القصص، ويذهب الى ان كل كلمة وحرف فيها مقصود، فلا مجاز او استعارة او كناية وغيرها، وان كل تفاسير المسلمين اعتباطية يجب اعادة النظر فيها، وهذا دفعني لأبحث في هذا الموضوع الذي فتح الباب على مصراعيه للتقول في القرآن بعيداً عن تراجمة القرآن.

وقد قسمت البحث على مبحثين ،الاول في الاتجاه اللاواقعي في القصص القرآني، الذي يرفض كل الاحداث التي دارت بين الانبياء واممهم، والمتمثل بالدكتور احمد محمد خلف الله ،والسيد كمال الحيدري، فقد قمت بدراسة مؤلفاتهما، ذاكرا بعض المنهج الذي سارا عليه فيما كتبا، معلقا على بعض الفقرات وذاكرا بعض الامثلة القصصية التي سيقت فيها، ثم الادلة التي توصلت اليها ردا على هذا الاتجاه. اما المبحث الثاني فكان الاتجاه القصدي في القصص القرآني، مبتدئا بتعريف هذا المنهج وصاحبه ذاكرا بعض خصائصه، ثم بينت المنهج الذي سار عليه المؤلف في كتبه التي استخلصت ما يخص القصص القرآني فيها، وذكرت بعض الانتقادات عليه، هذا ما يمليه الواجب على كل فرد، فالدفاع عن كتاب الله ونصرة نبيه كل حسب مكانه ومقدوره كفيل بسد الباب امام انتهاك حرمة القران ..والله ولي التوفيق.

المبحث الاول / الاتجاه اللاواقعي في القصص القرآني

المطلب الاول/القصص القرآني لغة واصطلاحا

(قَصَّ) أَثَرَهُ تَتَبَّعَهُ مِنْ بَابِ رَدَّ وَ(قَصَصًا) أَيْضًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} [الكهف: 64]، وَكَذَا (اقْتَصَّ) أَثَرَهُ وَ(تَقَصَّصَ) أَثَرَهُ، وَ(الْقِصَّةُ) الْأَمْرُ، وَالْحَدِيثُ وَقَدِ (اقْتَصَّ) الْحَدِيثَ رَوَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَ(قَصَّ) عَلَيْهِ الْخَبَرَ (قَصَصًا)وَالِاسْمُ أَيْضًا (الْقَصَصُ) بِالْفَتْحِ وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ، وَ(الْقِصَصُ) بِالْكَسْرِ جَمْعُ (الْقِصَّةِ) الَّتِي تُكْتَتَبُ[1].

وقصص القرآن في الاصطلاح: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة – وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[2]،يختلف القصص القرآني عن غيره من القصص في ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله؛ ذلك أن القرآن الكريم لم يتناول القصة لأنها عمل (فني) مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيه ، كما أنه لم يأت بالقصة من أجل التحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونها – كما يفعل المؤرخون – وانما كان عرض القصة في القرآن الكريم مساهمة في الأساليب العديدة التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء الكتاب الكريم من أجلها ، بل يمكن أن نقول : ان القصة هي من أهم هذه الأساليب ، فالقرآن الكريم رسالة دينية قبل كل شيء تهدف بصورة أساسية إلى عملية التغيير الاجتماعي بجوانبها المختلفة ، هذه العملية التي وجدنا بعض مظاهرها وآثارها في طريقة نزول القرآن التدريجي وفي طريقة عرض المفاهيم المختلفة ، وفي ربط نزول القرآن بالأحداث والوقائع والأسئلة ، وفي أسلوب القرآن في القصر والايجاز ، أو المزج بين الصور والمشاهد المتعددة ، الامر الذي أدى إلى نشوء كثير من الدراسات القرآنية،[3] وللقصص القرآني فوائد واغراض نجمل أهمها فيما يأتي[4]:

1- بيان وحدة الوحي الإلهي: من الأغراض والفوائد الهامة للقصّة القرآنية التنبيه على أن الدين السماوي الذي بعث الله به الأنبياء والمرسلين واحد، وأنّ جميع الشرائع المنزلة– بأصالتها– لا تعارض فيها ولا اختلاف، وتحقيقا لهذا الغرض نجد القرآن الكريم يورد قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، وربما تكرّر مجيء هذه القصص على هذا النحو، كلّ ذلك بغرض تأييد هذه الحقيقة وتثبيتها في الأذهان وتوكيدها في النفوس، ولذا نجد القرآن يصرّح بهذا الغرض أحيانا، ومثال ذلك ما جاء في سورة الأنبياء– بعد ذكر قصص عدد منهم– من قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٩٢ .

2– تثبيت القلوب على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنُصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود: ١٢٠

3– تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

4- إظهار صدق محمد – صلى الله عليه وسلم- في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

5- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهُدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى:﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران: ٩٣.

6- والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس:﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ﴾ يوسف: ١١١ .

المطلب الثاني/بداية التحول في فهم القصص القرآني

تعددت الدراسات القرآنية المعاصرة وتبلورت اتجاهات جديدة لفهم القصص القرآني ،إذ غدت القصة القرآنية بنظر اتباع هذا الاتجاه تنحو منحى الرمزية ،فلم تعد تلك القصص إلا أحداثا خيالية صورها الباري سبحانه لتكون عبرة يخاطب بها مختلف شرائح المجتمعات ،وكانت البدايات عند الشيخُ محمد عبده في معرض حديثه عن أغراض القصص القرآني فقال: "بينا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار، لا لبيان التاريخ، ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين، وأنه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل، ومن تقاليدهم الصادق والكاذب، ومن عاداتهم النافع والضار، لأجل الموعظة والاعتبار، فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة، ولا تتجاوز مواطن الهداية، ولا بد أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح[5]،ثم اثار تشكيك طه حسين جدلا كبيرا في الاوساط الاسلامية ،وعلى نهجهم سار الدكتور محمد احمد خلف الله، إذ اشرف امين الخولي على اطروحته في الدكتوراه (الفن القصصي في القران الكريم) التي كانت الاولى من نوعها في تبني الرمزية في القصص القرآني ،إذ اثارت حفيظة لجنة المناقشة وتم على اثرها رفض اطروحته، يشرح محمد أحمد خلف الله منهجَه في دراسة القصص القرآني بقوله أن من الخطأ: "دراسة القصص القرآني كما تدرس الوثائق التاريخية، لا كما تدرس النصوص الدينية والنصوص الأدبية البليغة أو المعجزة... لاحظت أن القرآن لم يقصد إلى التاريخ من حيث هو تاريخ، إلا في النادر الذي لا يحكم له، وأنه على العكس من ذلك عمد إلى إبهام مقومات التاريخ من زمان ومكان، ومن هنا تبينت أن القوم قد عكسوا القضية حين شغلوا أنفسهم بالبحث عن مقومات وهي غير مقصودة، وأهملوا المقاصد الحقيقية للقصص القرآني، ولو أنهم شغلوا أنفسهم بتلك المقاصد الحقة لأراحوا أنفسهم من عنا كبير، ولأبرزوا الجوانب الدينية والاجتماعية من القصص القرآني إبرازاً ملموساً

يثير المشاعر والعواطف، ويؤثر في العقول والقلوب، وعند ذلك كانوا يمكّنون للدين وقضاياه، ويسيرون وهدى القرآن الكريم"[6].

ويذهب خلف الله إلى أن القرآنَ الكريم انما يورد هذه القصصَ بوصفها أمثالا، كما نصّت على ذلك الآيةُ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ يس: ١٣ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾ التحريم: ١٠ ، مستدلا على صحة موقفه ما نقل عن الفخر الرازي في بيان أغراض القصص في سياق تفسيره للآيتين: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ آل عمران: ٦٢،فقد ذهب الرازي إلى أن: "القصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق، وأمر بطلب النجاة، أما الحق فهو إشارة الى البراهين الدالة على العدل والنبوة[7]﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ هود: ١٢٠، في النصف الأول من القرن الماضي يدعو خلفُ الله إلى إعادةِ النظر في التعاطي مع لغة القرآن، وفقًا لمفهومه لـ "لغة الدين"، ويدعو لضرورةِ فهم القصص الواردة بلغة الدين في سياق المعنى الرمزي الذي تقرره هذه اللغة؛ لأنه يرى أن القصص في الكتب المقدسة لا ترد بوصفها تقريرًا لحوادث تاريخية،ان لغةُ الكتاب المقدس غرضُها المعنى الذي ترمز إليه القصة وهو الهداية، كما هو الغرضُ من ضرب الأمثال.

إلا أن هذه الدعوةَ مازالت غيرَ مقبولةٍ حتى اليوم، ذلك أن أكثرَ الدراسات القرآنية أسيرةُ علومِ القرآن وقواعدِ التفسير التي أنتجها المفسرون في الماضي، ومفهومهم للغة الدين، المشتق من رؤيتِهم وقتئذ للعالَم، وعلومِ ومعارفِ عصرهم، ولم تنبثق هذه الدراساتُ من رؤيةٍ حديثةٍ للعالَم، ولم تنفتح على المكاسب الراهنة في علوم الإنسان والمجتمع، التي كان يشدّد على توظيفها أمينُ الخولي في الدراسات القرآنية، وقد تحدّث خلف الله على أنه لم يكن أولَ من تبنّى هذا الموقف، بل سبقه إليه الشيخُ محمد عبده كما ورد في تفسير المنار، إذ يكتب خلفُ الله[8] (على أن هذا القول قد قال به الأستاذ الإمام، وقد نقله عنه صاحب المنار في مواطن كثيرة من كتابه: "إن الله تعالى أنزل القرآن هدى وموعظة، وجميع قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة لا تاريخ شعوب ومدائن ولا تحقيق وقائع ومواقع)[9]، كما احتج بقوله: "فإن قيل إن التاريخ من العلوم التي يسهل على البشر تدوينها والاستغناء بها عن الوحي فلماذا كثر سرد الأخبار التاريخية في القرآن وكانت في التوراة أكثر؟ والجواب ليس في القرآن شيء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للأمم أو البلاد لمعرفة أحوالها، وإنما هي الآيات والعبر تجلت في سياق الوقائع بين الرسل وأقوامهم لبيان سنن الله تعالى فيهم إنذاراً للكافرين بما جاء به محمد (ص) وتثبيتًا لقلبه وقلوب المؤمنين به، ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها... هذه هي نظريتي في القصص وهي نظرية تعتمد على طريقة الخلف ومذهب الأستاذ الإمام)[10]، ويذهب خلف الله الى انه يمكن ان يقسم القصص القرآني على ثلاثة الوان:

اولا: اللّون التاريخيّ :هو الذي يدور حول الشخصيات التاريخية امثال الانبياء والمرسلين والذي يعتقد الاقدمون ان الاحداث القصصية هي الاحداث التاريخية[11] ، استهل خلف الله في كتابه الفن القصصي هذا اللّون من صفحة(153–183) فبدأ بعرض الآيات (18–21) من سورة القمر، فذكر أنّ القرآن قد تخلّى عن كثير من التّفصيلات؛ فلم يذكر هودا ولم يذكر صفة عاد ولا بيوتها، واقتصر على وصف العذاب، واستنتج أنّ الغرض من القصّة هو التّخويف: «فعل القرآن كلّ هذا، لأنّ قصص هذه السّورة لم ينزل إلاّ للإنذار وللتّخويف من العذاب»، ثم يقارن بين الآيات الواردة في سورة الحجر من الآية(61–75)والتي منها﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ والآيات في سورة هود من الآية(77–83) والتي منها﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾.

ثم يخلص الى القول ان القصد من القصتين مختلف، وسترى ان القرآن قد خالف بينهما في الترتيب ليشعرنا بان كل قصة مستقلة عن الاخرى، وان ترتيب الاحداث مختلف لاختلاف المقاصد ،ولو ادى هذا الاختلاف الى اهمال اهم مقومات التاريخ وهو الزمان، وان القصد من قصة لوط عليه السلام في سورة هود هو تثبيت قلب النبي، اما في سورة الحجر فالقصد بيان ما ينزل بالمكذبين من اذى ،ثم ينتقل خلف الله الى سورة البقرة ليبين الخلاف الواقع في الميقات﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة: 5،فهل الميقات خاص بهذه الآية ام غيره ،ثم يقول في بعض تعليقاته (ان المقاصد التي يرمي اليها القرآن هي التي تملي الاسلوب والطريقة وهي التي من اجلها يسلسل القران الاحداث ويربط بينها برباط العاطفة والوجدان...ان احداث التاريخ التي وردت في القصص القرآني قد رتبت ترتيبا عاطفيا لتحريك الهمم في النفوس ومعنى ذلك انها من الوان القصص التاريخي الفني، وأن العمل فيها فني يقدر بموازين الفن القولي لا بموازين المؤرخين.

ثم يعرج خلف الله على سورة الشعراء من الآية (123–140) والآيات من (160–175) تتحدث الآيات في القسم الاول عن قصة قوم عاد مع نبيهم هود، والقسم الثاني من الآيات يتحدث عن قصة قوم لوط ويستنتج من آيات القسمين وحدة التصميم واتفاق البناء والتراكيب، وان الاساس الذي قام عليه بناء القصتين واحد، وان القصد منها واحد ايضا هو حرص النبي صلى الله عليه واله على هداية قومه ،ثم يناقش الآيات المباركة التي تناولت معجزة النبي موسى عليه السلام، إذ الاختلاف في انقلاب العصا فمرة بمحضر الباري سبحانه، واخرى بمحضر فرعون﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ طه: ٢٠ ،﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ النمل: ١٠ ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ القصص: ٣١ ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الشعراء: ٣٢.

و يعلق خلف على هذه الآيات بقوله (وهكذا ترى ان العنصر القصصي الواحد يعرض في صور مختلفة مناسبة للسياق، ويلحظ فيها القصد والغرض تحقيقا للمنطق العاطفي، ومعنى ذلك أن القرآن يصور التصوير الادبي لا التصوير التعليمي التاريخي، وليس بعد ذلك من الأدلة من دلالة على ان القصة التاريخية في القرآن قصة ادبية، ثم ينتقل خلف الله لسورة الكهف ويركز على اختلاف عدد اصحاب الكهف ومدة مكوثهم فيه﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ الكهف: ٢٢﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ الكهف: ٢٥، وناقش ايضا معنى العين الحمئة في الآية﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ﴾ الكهف: ٨٦.

واستنتج خلف الله ان القصة التاريخية في القرآن قصة ادبية، يعتمد فيها القرآن على تصوير الاحداث كما يعتقدها المخاطبون ، وهو الأمر الذي اجازه بعض القدماء بل راه بعضهم امرا لابد من القول به ليسلم القرآن من المطاعن، ويستقيم الاسلوب القصصي للقرآن، ثم يخلص خلف الله في الصفحة 178(من كتابه) الى ان هناك اموراً تدل على أن صنيع القرآن في قصصه التاريخي ليس الا الصنيع الادبي، ويعطي امثلة على ذلك:

1- الجمع بين العناصر التي باعد بينها الزمن لا في حياة النبي الواحد بل في حياة الامة الواحدة، كأمة بني اسرائيل، او في حياة البشرية، كما هو الحال في قصة بني ادم، وفصل الآراء المتعلقة بالآية ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الأعراف: ١٥٧،نلحظ هنا أن القرآن قد جمع بين عناصر متباعدة من حياة امة بني اسرائيل في قصة واحدة فهم يجدونه مكتوبا في التوراة ويجدونه مكتوبا في الانجيل، ومطلوب منهم الايمان به وهو سياتي بعد مدة طويلة من الزمن وكل هذا يقال على فرض ان هذا الخطاب لمن يعاصر موسى عليه السلام، وعلى فرض ان الخطاب لمعاصري محمد عليه السلام فان المسالة لا تزال قائمة؛ لأنه لا يفوز بهذه الرحمة من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكاة، وامن بالدلائل في موسى، ثم اتبع نبي اخر الزمان في شرائعه، وهو بهذا يجمع بين امور خاطب بها المولى موسى عليه السلام، وامتدت الى زمن محمد عليه الصلاة والسلام.

2- انطاق الاشخاص بما لم ينطقوا به مراعاة لأمور اعتبارية ،وذلك هو الأمر الذي أجازه كثيرٌ من أئمة التفسير، إذ جاء في تفسير الكشاف للآية﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ١٥٧،فإن قلت: كانوا كافرين بعيسى عليه السلام، أعداء له، عامدين لقتله، يسمونه الساحر بن الساحرة، والفاعل بن الفاعلة، فكيف قالوا (إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) ؟ قلت: قالوه على وجه الاستهزاء، كقول فرعون (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ

لَمَجْنُونٌ) ويجوز أن يضع اللَّه الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعاً لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله[12] كقوله: (لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً) ،فيجيز الزمخشري ان يضع الله سبحانه الذكر الحسن على السنة القوم بدلا من الذكر القبيح، ويستنتج خلف الله(وليس من الشك في ان هذه العملية عملية انطاق الاشخاص بما لم يقولوا به لاعتبارات يراها الخالق جل وعلا تدل على ان القصص القرآني عرض ادبي للأحداث والاقوال وليس عرضا تاريخيا لها، ومعنى ذلك ان القصة في القرآن عمل ادبي فني.

3- اسناده الأحداث لأشخاص بأعيانهم في موطن ثم أسناده الأحداث نفسها لغير الأشخاص في موطن اخر، وذلك الأمر الذي فطن إلى بعض صوره القدماء، للسائل أن يسأل في هذه القصة عن مسائل: أولها قوله في سورة الأعراف 109-110. ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ثم قال في سورة الشعراء (الاية34) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فأخبر في الأولى أن قائل ذلك الملأ من قومه وفي الثانية أن فرعون هو القائل ذلك لملائه، وهذا اختلاف ظاهر في الخبرين [13]،وهذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في قصة ابراهيم عليه السلام ،إذ نلحظ فيه ان البشرى بالغلام والحوار مع الملائكة والعجب من الولادة وابراهيم شيخ وامراته عجوز كانت في سورة هود مع امرأة ابراهيم وفي سورة الحجر مع ابراهيم نفسه بل نلحظ في سورة الذاريات امرا آخر هو ان البشرى بالغلام كانت لإبراهيم وان الحوار مع الملائكة كان مع زوجته، وكل هذه الظواهر تدل على ان القرآن يعرض عن الاساليب التاريخية، وانه يعتمد على الاساليب الادبية والوسائل الفنية والبلاغية.

ثانيا: اللّون التمثيليّ: هو الذي يرى فيه بعض الاقدمين أن الأحداث فيه ليست إلا الأحداث التي يقصد منها الى البيان والايضاح أو إلى الشرح والتفسير الذي لا يلزم ان تكون احداثه من الحقائق فقد يكتفي فيه بالفرضيات والمتخيلات على تعبير الاقدمين، والقصّة التمثيليّة قصّة فنيّة، هذا ما يقرّره الأقدمون ويشهد به الواقع، وهذا هو الّذي نريد أن نستعرضه سويّا من النّصوص[14] ،إذ بدأها خلف الله من الآيات في سورة صاد﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ ص: ٢، واستشهد خلف الله بتفسير الكشاف : فإن قلت: ما معنى ذكر النعاج؟ قلت: كأن تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا، لأنّ التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا، وللتنبيه على أمر يستحيا من كشفه، فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به..... فإن قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم؟ قلت: هو تصوير للمسألة وفرض لها، فصوّروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسى، كما تقول في تصوير المسائل: زيد له أربعون شاة، وعمرو له أربعون، وأنت تشير إليهما، فخلطاها وحال عليها الحول، كم يجب فيها؟ وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها: لي أربعون شاة وأربعون فخلطناها، وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها.[15]

ثم انتقل الى تفسير الرازي: المسألة الثانية: هاهنا قَوْلَانِ الْأَوَّلُ: أَنَّهُمَا كَانَا مَلَكَيْنِ نَزَلَا مِنَ السَّمَاءِ وَأَرَادَ تَنْبِيهَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قُبْحِ الْعَمَلِ الَّذِي أَقْدَمَ عَلَيْهِ ،وَالثَّانِي: أَنَّهُمَا كَانَا إِنْسَانَيْنِ دَخَلَا عَلَيْهِ لِلشَّرِّ وَالْقَتْلِ، فَظَنَّا أَنَّهُمَا يَجِدَانِهِ خَالِيًا، فَلَمَّا رَأَيَا عِنْدَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْخَدَمِ اخْتَلَقَا ذَلِكَ الْكَذِبَ لِدَفْعِ الشَّرِّ، وَأَمَّا الْمُنْكِرُونَ لِكَوْنِهِمَا مَلَكَيْنِ فَقَدِ احْتَجُّوا عَلَيْهِ بأنهما لَوْ كَانَا مَلَكَيْنِ لَكَانَا كَاذِبَيْنِ فِي قَوْلِهِمَا: خَصْمانِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ خُصُومَةٌ، وَلَكَانَا كَاذِبَيْنِ فِي قَوْلِهِمَا:(بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ) وَلَكَانَا كَاذِبَيْنِ فِي قَوْلِهِمَا:(إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) فَثَبَتَ أَنَّهُمَا لَوْ كَانَا مَلَكَيْنِ كَاذِبَيْنِ وَالْكَذِبُ عَلَى الْمَلَكِ غَيْرُ جَائِزٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٧ ،ولقوله﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ النحل: ٥٠ .

أَجَابَ الذَّاهِبُونَ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ بِأَنْ قَالُوا إِنَّ الْمَلَكَيْنِ إِنَّمَا ذَكَرَا هَذَا الْكَلَامَ عَلَى سَبِيلِ ضَرْبِ الْمَثَلِ لَا عَلَى سَبِيلِ التَّحْقِيقِ فَلَمْ يَلْزَمِ الْكَذِبُ.[16] ثم انتقل خلف الله لعدد من التفاسير ليبين معاني (بغى بعضنا على بعض) ولفظة(النعجة) ثم خرج باستنتاج يقول فيه: (سرّ الاختلاف لا يقوم على التّمثيل من حيث هو تمثيل، ولا على أثره القويّ في النّفس؛ فكلّهم يعترف بذلك، حتّى من يخشى منهم أن يكون التّمثيل في قصّة الملَكين كذبا) ويمكننا القول ان خلف الله لم يفسّر مصطلح التّمثيل ولا وضّح مفهومه في القصّة الفنيّة، بل اكتفى بعرض أقوال اختارها هو واجتثّها من سياقاتها في كتب التّفسير لبعض الأقدمين، ثم للاعتراف بالحقيقة التي لطالما دافع عن موقفة الرافض لها «وهنا، أحبّ أن أصرّح بأنّي لا أقصد إلى القول بأنّ كلّ الموادّ القصصيّة في القصص التمثيليّ القرآنيّ وليدة الخيال؛ ذلك لأنّ بعضها قد يكون وليد الأحداث الواقعيّة، وذلك هو الواقع في قصّة المَلَكين السّابقة، وما فيها من أحداث من تاريخ داود عليه السّلام».

ثم يعلل خلف الله سبب الحاجة للخيال في القصص القرآني فيقول:(ان الحاجة الى الخيال في القصص القرآني اوفي التمثيل القرآني لم تأت لحاجة المولى سبحانه الى الخيال في التعبير عن المراد وحاشا ان يحتاج الى الخيال و انما جاءت لحاجة البشرية لهذا الخيال؛ ولان ذلك هو الاسلوب الذي تجري عليه في التعبير عن الاحاسيس والافكار، وليوصل خلف الله فكرته للتمثيل في القصة القرآنية استند الى تفسير الزمخشري للآية﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾ الأحزاب: ٧٢.

وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم: لو قيل للشحم: أين تذهب ؟لقال: أسوى العوج، وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات، وتصوّر مقاولة الشحم محال، ولكن الغرض أنّ السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه، كما أن العجف مما يقبح حسنه، فصوّر أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع، وهي به آنس وله أقبل، وعلى حقيقته أوقف، وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها، فإن قلت:

قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأى واحد: أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، لأنه مثلت حاله– في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على أحدهما– بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه، وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة، وليس كذلك ما في هذه الآية، فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه، غير مستقيم، فكيف صح بناء التمثيل على المحال، وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه به غير معقول، قلت: الممثل به في الآية وفي قولهم: لو قيل للشحم أين تذهب، وفي نظائره مفروض، والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات: مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها[17].

ثم يستنتج خلف الله (اذ يلفت الزمخشري ذهننا الى ان التمثيل هنا قد جاء لأنه الاسلوب العربي؛ ولأن القرآن ما جاء الا على طريقتهم واساليبهم كما يلفت ذهننا الى ان التمثيل يكون بالصور المفروضة التي تتخيل في الذهن اي بالصور التي يخترعها الخيال وان لهذه الصور قوتها التي قد تكون اوقع في الذهن واكد في النفس من الصور التي تمثل الحقيقة، ثم يقول: إن للتمثيل مظهرين ،الاول ان تجيء اعقاب المعاني ليزيدها قوة وجلاء، والثاني ان يجيء المعنى ابتداء في صورة التمثيل وهذا الذي يشير اليه الجرجاني حين يقول:

(واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً)[18]،ثم يقول خلف الله: ان هذا التمثيل بمظهريه كما يكون بالصور الادبية والتشبيهات يكون ايضا بالقصص فقد تجيء القصة في اعقاب المعاني لتزيدها وضوحا وبيانا وذلك هو الواضح من سورة يس، فقد ذكر المولى سبحانه كثيرا من المعاني التي تصور حال النبي عليه السلام مع قومه ثم اتبعها بقوله﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ يس: ١٣–١٥،وقد يجيء المعنى ابتداء في صورة القصة كما هو الحال في قصة الملكين مع داوود إذ اقتصر خلف الله على هذا المظهر، ثم ذكر عدد من القصص:

(أ):﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ المائدة: ١١٢ –

١١٤، واستشهد في شرح الآية ما جاء في تفسير الطبري : وقال آخرون: لم ينزل الله على بني إسرائيل مائدة، ثم اختلف قائلو هذه المقالة، فقال بعضهم: إنما هذا مثل ضربه الله تعالى ذكره لخلقه، فقد وردعن مجاهد في قوله: "أنزل علينا مائدة من السماء"، قال: مثل ضُرب، لم ينزل عليهم شيء[19].

(ب)﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٣،علق خلف الله بقوله؛ وذهب بعض القدماء من المفسرين فيما روى عنهم ابن كثير الى ان هذه ليست قصة واقعية وانما هي مثل.

(ج)﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ ﴾ البقرة: ٢٥٩،يستشهد خلف الله بقول صاحب تفسير المنار(وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْقِصَّةُ مِنْ قَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَاللهُ أَعْلَمُ)[20].

(د)﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة:٢٦٠،ذكر خلف الله راي الزمخشري وراي محمد رشيد رضا: (الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ أَجْمَعَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَةِ: قَطِّعْهُنَّ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَطَعَ أَعْضَاءَهَا وَلُحُومَهَا وَرِيشَهَا وَدِمَاءَهَا، وَخَلَطَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، غَيْرَ أَبِي مُسْلِمٍ فَإِنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا طَلَبَ إِحْيَاءَ الْمَيِّتِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِثَالًا قَرَّبَ بِهِ الْأَمْرَ عَلَيْهِ، وَالْمُرَادُ بِصُرْهُنَّ إِلَيْكَ الْإِمَالَةُ وَالتَّمْرِينُ عَلَى الْإِجَابَةِ، أَيْ فَعَوِّدَ الطُّيُورَ الْأَرْبَعَةَ أَنْ تَصِيرَ بِحَيْثُ إِذَا دَعَوْتَهَا أَجَابَتْكَ وَأَتَتْكَ، فَإِذَا صَارَتْ كَذَلِكَ، فَاجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ وَاحِدًا حَالَ حَيَاتِهِ، ثُمَّ ادْعُهُنَّ/ يَأْتِينَكَ سَعْيًا، وَالْغَرَضُ مِنْهُ ذِكْرُ مِثَالٍ مَحْسُوسٍ فِي عَوْدِ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَجْسَادِ عَلَى سَبِيلِ السُّهُولَةِ[21].

وفي تفسير المنار أَنَّ تَفْسِيرَ أَبِي مُسْلِمٍ لِلْآيَةِ هُوَ الْمُتَبَادَرُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ النَّظْمُ، وَهُوَ الَّذِي يُجَلِّي الْحَقِيقَةَ فِي الْمَسْأَلَةِ ; فَإِنَّ كَيْفِيَّةَ الْإِحْيَاءِ هِيَ عَيْنُ كَيْفِيَّةِ التَّكْوِينِ فِي الِابْتِدَاءِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ بِتَعَلُّقِ إِرَادَةِ اللهِ – تَعَالَى – بِالشَّيْءِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِكَلِمَةِ التَّكْوِينِ " كُنْ " فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ الْبَشَرُ إِلَى كَيْفِيَّةٍ لَهُ إِلَّا إِذَا أَمْكَنَ الْوُقُوفُ عَلَى كُنْهِ إِرَادَةِ اللهِ – تَعَالَى – وَكَيْفِيَّةِ تَعَلُّقِهَا بِالْأَشْيَاءِ، وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَهُوَ مَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ – أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ ؛ فَصِفَاتُ اللهِ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، وَالْعَجْزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ فِيهَا هُوَ الْإِدْرَاكُ وَهُوَ مَا أَفَادَهُ قَوْلُ أَبِي مُسْلِمٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – وَمِمَّا يُؤَيِّدُهُ فِي النَّظْمِ الْمُحْكَمِ قَوْلُهُ – تَعَالَى(ثُمَّ اجْعَلْ) فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى التَّرَاخِي الَّذِي يَقْتَضِيهِ إِمَالَةُ الطُّيُورِ وَتَأْنِيسُهَا عَلَى أَنَّ لَفْظَ

صُرْهُنَّ يَدُلُّ عَلَى التَّأْنِيسِ، وَلَوْلَا أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ لَقَالَ: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَقَطِّعْهُنَّ وَاجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا، وَلَمْ يَذْكُرْ لَفْظَ الْإِمَالَةِ إِلَيْهِ وَيَعْطِفْ جَعْلَهَا عَلَى الْجِبَالِ بِـ " ثُمَّ "، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا خَتْمُ الْآيَةِ بِاسْمِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ دُونَ اسْمِ الْقَدِيرِ، وَالْعَزِيزُ: هُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُنَالُ، وَمَا صَرَفَ جُمْهُورَ الْمُتَقَدِّمِينَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى وُضُوحِهِ إِلَّا الرِّوَايَةُ بِأَنَّهُ جَاءَ بِأَرْبَعَةِ طُيُورٍ مِنْ جِنْسِ كَذَا وَكَذَا وَقَطَّعَهَا وَفَرَّقَهَا عَلَى جِبَالِ الدُّنْيَا، ثُمَّ دَعَاهَا فَطَارَ كُلُّ جُزْءٍ إِلَى مُنَاسِبِهِ حَتَّى كَانَتْ طُيُورٌ تُسْرِعُ إِلَيْهِ ; فَأَرَادُوا تَطْبِيقَ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا وَلَوْ بِالتَّكَلُّفِ، وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَهَمُّهُمْ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ خَصَائِصُ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْخَوَارِقِ الْكَوْنِيَّةِ وَإِنْ كَانَ الْمَقَامُ مَقَامَ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ وَالْإِخْرَاجِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَهُوَ أَكْبَرُ الْآيَاتِ، وَلِكُلِّ أَهْلِ زَمَنٍ غَرَامٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ يَتَحَكَّمُ فِي عُقُولِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ، وَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ فَهْمَ كِتَابِ اللهِ – تَعَالَى – أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ التَّأَثُّرِ بِكُلِّ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهُ ; فَإِنَّهُ الْحَاكِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي مُسْلِمٍ مَا أَدَقَّ فَهْمَهُ وَأَشَدَّ اسْتِقْلَالَهُ فِيهِ)[22].

ثم ينتقل خلف الله الى الآيات (27– 31) من سورة المائدة ، والآيتين (189–190) من سورة الاعراف والتي تتحدثان عن خلق الناس من نفس واحدة، وكعادته يستند الى تفسير المنار والتفسير الكبير وتفسير الطبري، إذ يأخذ من الكلام ما يطابق وجهة نظره في كون كل تلك القصص رمزية تمثيلية بعيدة كل البعد عن الواقع التاريخي الحقيقي، فقتل قابيل لهابيل لم يكن الا تمثيلا لاستعداد البشر من التنازع في غرائز الفطرة ، واما خلق الناس من نفس واحدة فهو تمثيل وبيان حالة المشركين عن جهلهم وقولهم بالشرك.

وبدأ خلف الله حديثه عن القصة التمثيلية من صفحة (182 الى صفحة 179) ليخرج لنا في استنتاج يقول فيه (ان القصة التمثيلية او الخيالية موجودة في القرآن الكريم باعتراف ائمة التفسير من القدماء والمحدثين ،وبان القصة التمثيلية قصة ادبية ،وانها تدخل تحت صورة من صور التعريف الادبي للقصة، حيث انها العمل الادبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث بطل لا وجود له، او من بطل له وجود ولكن الاحداث التي المت به لم تقع له اصلا ،كما نستطيع ان نقول بانا بعد كل ما تقدم لن نجد من يعارض في وجود القصة التمثيلية في القرآن ،وانها وليدة الخيال، وان الخيال انما يسود هذا النوع من القصص لحاجة البشر اليه ،وجريهم في بلاغته عليه ،والله سبحانه وتعالى انما يتحدث من هذا بما يعتادون، ولعل من القصص التمثيلي كل قصة اعرض القران فيها عن ذكر البطل فاهمله او اخفاه).

ثالثا: اللّون الأسطوريّ: يعرفه خلف الله (هو الذي تبنى فيه القصة على اسطورة من الأساطير والذي يقصد منه في الغالب الى تحقيق غاية علمية او تغير ظاهرة وجودية ،او شرح مسالة قد استعصت على العقل)[23]، بعد ذكر مقدمة قصيرة اشار خلف الله الى انه لم يقل اي واحد من المفسرين بوجود القصة الاسطورية في القران بل على العكس نرى

منهم كما نرى من بعض المحدثين نفورا من لفظ الاسطورة ومن القول بانها في القرآن ولو الى حد ما، نعم نحن لا ننكر ان بعض المفسرين من اصحاب اللمحات قد فتح الباب واجاز القول بوجود القصة الاسطورية وأصل لذلك أصولا مهمة لهذه الفكرة، مثل تقرير ان هناك جسما للقصة او هيكلا للحكاية، وان هناك امورا اخرى، والجسم او الهيكل غير مقصود، اما المقصود حقا فهو ما في القصة من توجيهات دينية او خلقية، وهو ما ذهب اليه الاقدمون كالإمام الرازي وهو ما قرره الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في صراحة ووضوح حين تحدث عن التعبيرات البيانية وانها قد تقوم على شيء من الخرافات الوثنية، فقد استشهد بتفسير المنار لقصة هاروت وماروت في سورة البقرة:

بَيَّنَّا غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ الْقِصَصَ جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ لِأَجْلِ الْمَوْعِظَةِ وَالْاعْتِبَارِ لَا لِبَيَانِ التَّارِيخِ وَلَا لِلْحَمْلِ عَلَى الْاعْتِقَادِ بِجُزْئِيَّاتِ الْأَخْبَارِ عِنْدَ الْغَابِرِينَ، وَإِنَّهُ لِيُحْكَى مِنْ عَقَائِدِهِمُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ، وَمِنْ تَقَالِيدِهِمُ الصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ، وَمِنْ عَادَاتِهِمُ النَّافِعُ وَالضَّارُّ، لِأَجْلِ الْمَوْعِظَةِ وَالْاعْتِبَارِ، فَحِكَايَةُ الْقُرْآنِ لَا تَعْدُو مَوْضِعَ الْعِبْرَةِ وَلَا تَتَجَاوَزُ مَوْطِنَ الْهِدَايَةِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ فِي الْعِبَارَةِ أَوِ السِّيَاقِ وَأُسْلُوبِ النَّظْمِ مَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْسَانِ الْحَسَنِ وَاسْتِهْجَانِ الْقَبِيحِ، وَقَدْ يَأْتِي فِي الْحِكَايَةِ بِالتَّعْبِيرَاتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ أَوِ الْمَحْكِيِّ عَنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَحِيحَةً فِي نَفْسِهَا كَقَوْلِهِ: (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) وَكَقَوْلِهِ: (بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ) وَهَذَا الْأُسْلُوبُ مَأْلُوفٌ، فَإِنَّنَا نَرَى كَثِيرًا مِنْ كُتَّابِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَكُتَّابِ الْإِفْرِنْجِ يَذْكُرُونَ آلِهَةَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي خُطَبِهِمْ وَمَقَالَاتِهِمْ وَلَا سِيَّمَا فِي سِيَاقِ كَلَامِهِمْ عَنِ الْيُونَانِ وَالْمِصْرِيِّينَ الْقُدَمَاءِ، وَلَا يَعْتَقِدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْخُرَافَاتِ الْوَثَنِيَّةِ[24].

ثم ذكر خلف الله تسعة مواضع من القرآن تشير الى الأساطير منها:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنعام: ٢٥،﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال: ٣١،﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ النحل: ٢٤،﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون: ٨٣،﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾الفرقان: ٥،وذكر بعدها(ان هذه الآيات التي عرض فيها القران لهذه المسالة فلننظر لنرى ما فيها من دلالات على نظرية الاساطير):

اولا: جميع هذه الآيات من المكي ،حتى ما وضع منها في السور المدنية، وتساءل حولها هذا التساؤل: "لماذا انقطع القول بالأساطير حينما انتقل النبي إلى المدينة"، وفسر ذلك باختلاف الثقافة في مكة وفي يثرب.

ثانيا: القائلون لهذا القول هم المنكرون للبعث ولا يؤمنون بالحياة الاخرة .

ثالثا: أن القرآن نفسه لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه، وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام، وليس من عند الله.

رابعا :كان المشركون يعتقدون بما يقولون اعتقادا صادقا ، وان الشبهة عندهم كانت قوية جارفة ، ثم بين خلف الله وجهة نظره المخافة لراي الرازي في ما ذهب اليه من راي في (الاية24) من سورة النحل(ويحسن بنا أن نثبت هنا نصاً للرازي في هذه المسالة فقد قال رحمه الله في (ج6 ص 354) ما يأتي (البحث الأول في بيان أن هذا كيف يصلح أن يكون جواباً عن تلك الشبهة وتقريره ما قدمنا من انه عليه السلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام أتى بالقرآن بان استعان بأحد لكان من الواجب عليهم أيضاً أن يستعينوا بأحد فيأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا عنه ثبت انه وحي الله وكلامه فلهذا قال (قل أنزله الذي يعلم السر. . . . . .).

والذي يحسن بنا ان نلتفت إليه هنا إن الرازي يسال عن كيفية أن يكون قوله تعالى: قل أنزله الذي يعلم السر. . الخ إجابة عن قولهم وقالوا أساطير الأولين. . . الخ، ذلك لان الرد الذي كان يتوقعه الرازي إنما يكون بنفي الأسطورية عن القرآن ومن هنا حاول ما حاول ليجعل القرآن بعيداً عن الشبهة. وأعتقد أن الرازي لم يفطن إلى الصواب فإجابة القرآن هي الإجابة الطبيعية وهي الإجابة التي لا محيد عنها في هذا الميدان؛ ذلك لان مدار الحوار بين القران والمشركين لم يكن عن ورود الأساطير في القرآن وإنما كان على اتخاذهم ورود الأساطير دليلا على ان القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحي ولم ينزل علية من السماء، ومن هنا كانت الإجابة في محلها وكانت إثباتاً بأن القرآن من عند الله (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض)، ولم تكن الإجابة نفي ورود القصص الأسطوري في القرآن.

وهذا هو الذي نص عليه الطبري فيما نقلنا عنه من حديث في مقالنا السابق، وهذا هو الذي يدل عليه ما ذكره القران من قبلهم (وإذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا أساطير الأولين)، ذلك لأنهم كانوا يستبعدون أن يصدر مثل هذا القصص الأسطوري عن الله، ومن هنا وقفوا موقفهم من النبي، وقالوا عنه وعن القرآن ما قالوا، ثم ذكر خلف الله الآيتين (259–260) من سورة البقر مثالاً للقصة الاسطورية في القرآن ،وقد علق عليهما بقوله (وواضح من القصتين انهما تفسران وتجسمان عملية الاحياء بعد الاماتة، وهي العملية التي كان ينكرها المشركون انكارا تاما، ويزعمون انها احاديث خرافة).

و تساءل خلف الله: "إذا ما قال المستشرقون: إن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف، أو قصة موسى في سورة الكهف، قد بُنيت على بعض الأساطير، قلنا ليس في ذلك على القرآن من بأس، فإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى، واختتم خلف الله هذا اللون من القصص القرآني الذي بداه من صفحة (198–

209) بقوله (ونستطيع الآن أن ننتهي من هذه الفقرة، إلى القول بأن القرآن الكريم لا ينكر أن فيه أساطير، وإنما ينكر أن تكون الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام، لم يجئ به الوحي، ولم ينزل عليه من السماء، ومن هنا يجب ألا يزعجنا أن يثبت عالم من العلماء أو أديب من الأدباء أن بالقرآن أساطيراً، ذلك لأن هذا الإثبات لن يعارض نصًا من نصوص القرآن الكريم)، ولقد انبرى عدد من محبي القرآن الكريم لتفنيد ادلة خلف الله التي استنبطها من الآيات التسع [25] ففي الآية:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنعام: ٢٥،نجد أن سياق هذه الآية والآيات الأخرى واضح جداً في ان وصفهم للقرآن بانه اساطير الاولين هو تكذيب للقرآن وانتقاص، بل هو الغاية في التكذيب؛ لانهم يصفون القرآن الذي هو حق وصدق بانه خرافات واكاذيب ،وان القرآن من اجل ذلك يعتبرهم مكذبين بالقرآن؛ ولذلك جاءت الآية﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنعام: ٢٧،اليس هذا الوعيد نتيجة لوصفهم القرآن بانه اساطير، فهل القرآن الكريم في هذا السياق قبل منهم هذا الوصف الكاذب ،اما الآية﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال: ٣١،فسياق الآية واضح جدا في ان المشركين يقللون من شان القرآن، ويطعنون في اعجازه وبلاغته، وفي اخباره فهو بنظرهم خرافات يمكنهم ان ينسجوا مثلها ،ثم يعبرون عن حماقاتهم بانه ان كان الحق بهذا الشكل فامطر علينا حجارة من السماء ،فهل القرآن سلم لهم ذلك ام انه من خلال السياق الكلي للآيات يستنكر ذلك اشد الاستنكار، وفي الآية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ النحل: ٢٤،يُغفل خلف الله ذكر الآية 25 من السورة﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ النحل:٢٥، لان فيها ردا واضحا على وصفهم القران بالأساطير سبب في خسرانهم يوم القيامة، وسبب في حمل لأوزار الناس الذين يضلونهم ،لانهم كانوا اقتسموا مداخل مكة ليقولوا للناس الوافدين للحج ان ما جاء به محمد احاديث واباطيل أي اساطير، فهل السياق القرآني هنا جاء مسلما لهم بانه اساطير ام مستنكراً ومشنعا؟، وفي الآية ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون: ٨٣ ،هل القران يسلم للمشركين بقولهم في البعث انه اساطير الاولين، اذا كان يسلم لهم بخرافة البعث فانه يسلم لهم اذن بكون القران يحتوي على اساطير ،اما اذا كان يستنكر ذلك في الآيات اللاحقة ويلفت انظارهم الى بطلان القول بالأسطورة ،وفي قوله ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ الفرقان: ٦- ٥،يقول خلف الله عن هذه الآية بان اجابة القرآن (قل

نزله)لا تنفي ان في القرآن اساطير وانما تنفي ان تكون هذه الاساطير من عند محمد، وتثبت انها من عند الله، وهو نوع من الكذب المدهش؛ لان القرآن قال (قل نزله)فالضمير عائد الى القران، الذي وصفه الكفار بانه اساطير ليرد عليهم بانه اذا كان الله عز وجل مصدره فكيف يكون اساطير؟ ولو كان كما يزعم خلف الله ان هذه الاساطير من عند الله لقال(قل انزلها)؛ لان الاساطير جمع وكل جمع مؤنث، ويقال له ايضا :ما حاجة الذي يعلم السر في السماوات والارض الى ان يحشو كتابه بالأساطير والخرافات ،ان في تاريخ الامم والشعوب الغابرة من الحقائق والوقائع والحوادث ما يكفي للموعظة والعبرة ،فهل يجهل عالم السر في السماوات والارض حتى يلجا سبحانه وتعالى الى الاساطير، وفي قوله ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾النمل: ٦٧ - ٦٨،يعقب البيان الالهي﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩ ﴾ النمل:٦٩ ،لقد وصفهم بالإجرام؛ لانهم يصفون الوعد بالبعث بانه اساطير الاولين، وفي قوله﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ الأحقاف: ١٧،يعقب البيان الالهي بقوله﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨ ﴾ الأحقاف: ١٨ ،اليس هذا كافيا لردع خلف الله، وفي قوله ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ القلم: ١٤ – ٤٤،ان القرآن هنا يعدد الجرائم التي يمارسها المشرك، ومنها وصفه للقرآن بانه اساطير، ثم يعقب البيان الالهي بقوله ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦ ﴾ القلم: ١٦ ،وفي ذلك زجر وردع.

المطلب الثالث/القصة الرمزية والتمثيلية عند السيد كمال الحيدري

تأثر العالم الاسلامي كثيراً بما يحيطه من مستجدات فكرية تطرا على الساحة العالمية ،وما تم تأسيسه على يد الدكتور محمد احمد خلف الله ومن سبقه من اتجاه رمزي تمثيلي في القصص القرآني لاقى قبولا في بعض الاوساط الاسلامية ،بل فتح البابَ على مصراعيه لتقبل الافكار والاتجاهات والتيارات والدراسات الوافدة من الغرب لتكون معيارا في الدراسات القرآنية التي بمجملها لم تقدم الا الاساءة ، بل تعدت حدود الادب إذ عدت بعضها النص القرآني نصاً اعتيادياً مطروحاً لساحات النقاش العقلي ،على اننا نلحظ اليوم تغيرا فريدا من نوعه الا وهو تأثر شخصية لها وزنها في الوسط الشيعي بهذه الافكار إذ دافع السيد كمال الحيدري وهو من مراجع الشيعة في مدينة قم عن الاتجاه الرمزي في القصة القرآنية، واخذ يروج لهذا الفكر، ويظهر مدى تأثر الحيدري بهذا الاتجاه إذ يمتدح خلف الله بوصفه تلميذا جيدا في اطار كلامه عن بدايات نشوء هذا الاتجاه.

(من أوائل الذين أرادوا أن يبحثوا القصة القرآنية في هذا المجال بهذا الشكل، هو الدكتور أمين الخولي، وأمين الخولي من التلامذة غير المباشرين لمحمد عبدة ،إذ ربى تلميذاً جيداً في هذا المجال، وهو الدكتور محمد احمد خلف الله صاحب كتاب الفن القصصي في القران الكريم، المتولد 1904، والمتوفى 1989 ،إذ تعد أول دراسة اكاديمية علمية في هذا المجال مقدمة إلى الأزهر في 1947، ورفضت الرسالة وكفّر صاحبها، وحكم عليه بالارتداد ،ومما أثار عليه المحافظين هؤلاء الذين كفّروه وحكموا بخروجه من الدين، اقراره بوجود القصة الأسطورية في القرآن، وبان مصادر القصص مستمدة من البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم لا من الواقعيات، وبصفة اخص أن نفسية الرسول قد لعبت دوراً هاماً في تكييف تلك القصة بحسب ثقافة عصره).

ثم يقول: أن بعض الكلمات التي تنسب إلى بعض المفكرين الإيرانيين هذه موجودة من 1950، لا يتبادر إلى البعض أن هذه نظريات جديدة يطرحها فلان وفلان ليست بهذا الشكل ،فقبل ثمانين سنة هذه الكتب موجودة، والشاهد على قدمها أن السيد الطباطبائي متعرض للنظرية وناقدها، السيد الطباطبائي في المجلد السابع صفحة 165 من تفسير الميزان في ذيل الآية من سورة الأنعام(7 إلى 83)،يقول:(ومن عجيب الوهم ما ذكره بعض الباحثين، طبعاً هذا الذي ذكره بعض الباحثين أصله يعود الى نظرية من محمد عبدة، حيث يشير في المنار يشير إلى هذه القضية بشكل واضح وصريح في المجلد الأول من تفسيره يقول: بينّا غير مرة، قال الأستاذ الإمام(يعني رشيد رضا يقول عن أستاذه محمد عبدة) أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبناء التاريخ، ولا للحمل على الاعتقاد بجزئية الأخبار عند الغابرين حتى نعتقد وقع كذا وقع كذا، أبداً وانه . القرآن . ليحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والاعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية ولابد أن يأتي في العبارة أو السياق أو اسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح فقط ليس إلا، هذه النظرية صارت منشأ لنظرية كاملة وأنا في اعتقادي أن السيد الطباطبائي يناقش ويقول فمن الجائز أن يأخذ القرآن في سبيل النيل إلى مقصده وهو الهداية إلى السعادة قصصاً دائرة بين الناس أو بين أهل الكتاب في عصر الدعوة وإن لم يوثق بصحتها، أو يتبين فيما بأيديهم من القصة إلى كذا وهذا خطأ السيد الطباطبائي لا يوافق عليه))[26].

تبنى الحيدري هذا الاتجاه وحاول ايجاد مؤيدين له من علماء اتباع ال البيت ،فاعتمد على بعض الاشارات في تفسير الميزان للطباطبائي؛ ليستند عليها كما استند خلف الله على تفسير المنار، وتفسير الرازي وغيرها من التفاسير، ولتعريف الرمزية يبدا السيد الحيدري تعريفها لغويا مستندا الى تعريف الراغب(الرَّمْزُ: إشارة بالشّفة، والصّوت الخفيّ، والغمز بالحاجب، وعبّر عن كلّ كلام كإشارة بالرّمز، كما عبّر عن الشّكاية بالغمز ، قال تعالى: قال(آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً)[27] ،ثم يضع تعريفا اصطلاحيا: أما الرمز في الاستعمال: فإنّه يقتصر على المعنى

التركيبي أو الجملي، إذ يهدف من وراء ظواهرها إلى معنى آخر يتحّرك في ضوئه النص في سياقه الجملي من دون الإفصاح أو البوح به، وعندنا أن الرمزية مجالها أوسع من ذلك، فهي تؤسس لأهدافها ابتداء من المستوى المفرداتي ولكن من دون أن ينعقد لها مدلول تصديقي؛ لما هو واضح من أن المفردات تتحرك في عالم التصّورات لا غير، ولكن هذه التصّورات الأّولية سوف تترّشد فيما بعد في المستوى الجملي ، لترسم أهدافا أكثر قربا ونضجًا، ولكنها لا تتجاوز المدلول والإرادة الاستعمالية ثم تتحرك الرمزية بآتجاه أهدافها الجّدية، وهنا تكمن المقاصد الفعلية من جهة، والقدرة على الوقوف عليها من جهة أخرى[28].

وقد اشار السيد في كتابه الرمزية والمثل في القران الكريم ومحاضرته المسجلة والمكتوبة اكثر من مرة الى قصة ادم عليه السلام واكد انها قصة رمزية لم تقع، حيث يشير الى تفسير الميزان للسيد الطباطبائي في المجلد الرابع عشر الميزان (صفحة218)(مع التعليق الخاص به على كلام الطباطبائي) يقول فقد خلقه الله سبحانه تمثل حال الإنسان لا البحث في شخص البحث في مقام الإنسانية، بحسب طبعه الأرضي المادي هذا الطبع الأرضي المادي من أين؟ خلقته من طين فقد خلقه في أحسن تقويم وغمره في نعمه التي لا تحصى ،الآن بدأ يعطي البعد التمثيلي، أسكنه الجنة يقول لا يتبادر إلى ذهنك يعني بساتين واكل وكذا وأسكنه جنة الاعتدال، ومنعه عن تعديه بالخروج عندما قال نهاه عن الشجرة التي تعني شجرة المعصية ، حتى يأتي إبليس يقول لا كل من هذه الشجرة هذه شجرة الخلد، قال بالخروج إلى جانب الاسراف باتباع الهوى والتعلق بسراب الدنيا ونسيان جانب الرب تعالى بترك عهده إليه (لقد عهدنا إلى آدم)يعني عهدنا إلى الإنسان فنسى الانسان العهد فظهرت له سوءات الحياة هذه كلها آيات قرآنية، السيد الطباطبائي يعطيها البعد التمثيلي وظهرت له سوءات الحياة لا يعني العورة هذه العورات المعنوية سوءات الحياة ولاحت له مساوئ الشقاء بنزول النوازل وخيانة الدهر ونقول الأسباب وتولي الشيطان عنه، فطفق يخصف عليه من ظواهر النعم، من ورق الجنة يقول هذه الظواهر النعم هذه إشارة إلى ذاك البعد يستدرك بموجود نعمة مفقودة أخرى ويميل من عذاب إلى ما هو اشد منه ويعالج الداء المؤلم بآخر أكثر منه إلى آخره، فالنتيجة حتى يؤمر أمر آدم بالخروج من الجنة يقول هذا ليس الخروج المادي حتى يؤمر بالخروج من جنة النعمة والكرامة إلى مهبط الشقاء والشر[29].

ثم يقول السيد ان كل الآيات لمنظومة قصة آدم لخصها السيد هنا في قصة تمثيلية رمزية، ذاك الاتجاه يعتقد أنها واقعية هذا لا يعتقد أنها واقعية ،والقصة شغلت الفكر التفسيري لمئات السنين مع انه الشيخ محمد هادي معرفة صاحب التمهيد ومن المحققين في هذا المجال وله كتب كثيرة في هذا المجال مع انه يرفض في مقالات متعددة الرمزية والتمثيل في القران الكريم، عندما يصل إلى قصة آدم لا يستطيع أن يرفع يده، يقول هذه القصة ليست حقيقية

وإنما رمزية) ويمكننا القول ان هادي معرفة لم يشر الى ان القصة ليست حقيقية بل قال معلقا على قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠ ،تعبير رمزي عن شأن الانسان بصورة عامة في الارض[30]،كما يمكننا القول ان الآية المباركة تتحدث عن مسالة الاستخلاف في الارض إذ تصح الرمزية فيها لأن البشر سيكونون مستخلفين في الارض، لا لقصة ادم وتفاصيلها والتي ذكرت بعدها.

والفارق بين خلف الله والسيد الحيدري ان خلف الله استطاع ان يتكئ على عدد من المفسرين قالوا برمزية القصص القرآني اما السيد لم يجد له من يتكئ عليه من اتباع مذهبه ما عدا مقتطفات في قصة ادم في تفسير الميزان، واعتقد ان ذلك ادى به الى ان يقسو على السيد الطباطبائي، فقد صرح ان السيد الطباطبائي لم يكن جريئا في هذا الميدان فقد قال (وفي عقيدتي الشخصية أن السيد الطباطبائي ما ذكره في قصة آدم هو نموذج لم يجرأ في زمانه أن يطبقها على أنبياء آخرين).

وعندما تستمع الى محاضرات السيد كمال الحيدري ينتابك العجب، فالسيد في قصة ادم عليه السلام لا يمكنه ان يتخيل مكاناً يجمع فيه الله سبحانه وتعالى جميع ملائكته لتسجد لادم (ماذا يعني السجود لآدم؟ يعني أن الله تعالى أتى بآدم الذي يمثل قصة حقيقية وأوقفه، وأوجد صالون لا أعلم هذا الصالون ما هو حجمه؛ لأنه يقول فسجد الملائكة كلهم أجمعون)، ثم يتساءل الحيدري: كم مليار مليار من الملائكة، نحتاج صالون بأي حجم، هؤلاء كلهم يقعد في وسطهم.. وقف ابليس غير ساجد.. تصوروا ما هي القضية؟ ثم الملائكة موجودات مادية أو موجودات فوق المادة.. كيف موجودات غير مادية سيسجدون؟ ثم ما هو هذا السجود؟ هل هو السجود الشرعي الذي نسجده في الصلاة؟) [31]،متناسياً عظمة الخالق الذي له مشارق الارض ومغاربها ،فهل يعقل ان لا يستطيع هذا الاله جمع كل مخلوقاته في مكان واحد، الا يعتقد الحيدري في المعاد ان الله سبحانه يجمع كل الناس والملائكة والحيوان في موقف القيامة﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ النبأ:٣٨.

وما يدمي القلب قول الحيدري بعدما استدل على بطلان حقيقة القصص القرآني(نلقي كل تلك المؤلفات في سلة الحواشي لا سلة المهملات، وفي محاضرة اخرى قال نرميها في سلة المهملات) [32] ،متناسياً ما في تلك المؤلفات من جهود عظيم لأصحابها وما تحويه من احاديث ال البيت المتعلقة بتلك القصص، ويعلل السيد الحيدري السبب في استعمال الباري الاسلوب القصصي التمثيلي(لان المتلقي لا يؤثر فيه إلّا هذا الأسلوب وبعض الأحيان الله يريد أن يتكلم بمنطق اللغة العربية ،واللغة العربية لها قوانينها ومن قوانينها القصة والخيال والاستعارة والمجاز والمبالغة، بعض الأحيان اللغة تقيّد المتكلم لا يستطيع أن يفهم لأنه يتكلم بهذه اللغة، وهذا ما بيّناه مفصلاً في كتاب منطق فهم القرآن،

قلنا وجود المتشابه في القرآن ليس اختيارياً هذا من مقتضيات اللغة العربية ،ومن لوازم اللغة وجود المتشابه، ولهذا جملة من الأعلام قالوا أن وجود المتشابه في القرآن أمرٌ تعمدي واختياري من الله)[33].

ويفصل السيد الحيدري الاتجاهات التي توصل اليها الدكتور خلف الله (الاتجاه الواقعي – التمثيلي – الاسطوري) ليتبنى الاتجاه التمثيلي الرمزي، ويصرح السيد الحيدري ان اختيار الاتجاه الواقعي في القصص القرآني او الاتجاه الرمزي خاضع للاجتهاد (وهذا يعقّد عمل المفسر يعني المفسر إلا إذا استطاع أن يثبت في مقدمة بحثه التفسيري كل ما ذكره القرآن فهو محمول على الواقع الخارجي والحكاية عن الواقع إلا ما خرج بالدليل، افترضوا بدليل (أصدق قيلا)، (نحن نقصّ عليك كذا) وهكذا(بالحق) إلى آخره، هذا يقول أنا أسّس هذا الأصل وفي المقابل أنت تستطيع أن تؤسس الأصل المقابل في التفسير وقد يكون الأصل أن القرآن مبني على الرمزية ، وهذا بحث موجود في العلوم الآن، في الهرمنطقي، وهنا سؤال يطرح نفسه: الكتب السماوية هل الأصل فيها الرمزية أم الأصل فيها الواقعية ؟ اتجاه يرى مثل أركون الأصل فيها الرمزية، اتجاه آخر يقول كما هو المشهور الآن بين المفسرين هو الواقعية ،والأمر إليك يعني هذا تابع للاجتهاد).

ثم يستخلص الفائدة من كون النص رمزيا (طبعاً الذين يصرّون على الرمزية يقولون؛لإنه إذا صار النص رمزياً يحتمل دلالات مفتوحة، إذن القرآن لا يموت لأنه لكل زمان يحتمل مصداقاً) ثم يؤكد السيد اهمية الرمزية وانها في الوقت نفسه خطيرة (إن الرمز بقدر ما يشكل يمكنُ معطى معرفيًا عظيما لا يمكن التخلف عنه ،يشكل أيضًا ظاهرة خطيرة يمكن من خلالها تبرير انحرافات وضلالات، وما نجده منَ سوق عصا الرمزية في توجيه معظم النصوص الدينية القديمة توراة وإنجيلا ما هو إّلا من هذا القبيل، ولذلك ينبغي التشديد على كون توخي بُعد الرمزية في النص الديني عمومًا والقرآني خصوصًا لابد أن يخضع لضوابط رصينة ودقيقة، لكي لاُ يقال بأن فّك رمزية النص القرآني باب مشرع لا يعتمد ضابطًا معينا ولا ريب بأن هذه الإشكالية تتعّمق أكثر عندما تدخل الاّتجاهات في بعدها التأويلي في تطويع دوائر الرمزية لتمرير أهدافهم القبلية ، فيعود إشكال التوراتية والإنجيلية من رأس ،وعليه فان الرمزية ليست افقا رحبا لكّل قارئ البّتة، وإّنما هي مرحلة متطورة نتائجية توجيهية أعلائية تقع في طولها حلقات غير قليلة من التفحص والدراية بمجريات العملية التفسيرية، فالرمزية بكلمة مختصرة في أفق الاستعمال وعلى مستوى تصوير وتقريب المراد الجّدي الفعلي للنص تعد حلقة صميمية في كيان العملية التأويلي ، وقد عرفت أن المرحلة التأويلية هي نهاية المطاف في قراءة النص القرآني[34].

والقصة القرآنية عند السيد الحيدري كالمثل ،إذ قسم السيد المثل في القرآن على نوعين هما المثل العرضي والمثل الطولي، فإذا كان المثل يعقد نوع مقارنة بين أمرين أو جهتين فهو مثل عرضي، من قبيلَ قوله تعالى﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا

رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ ﴾ الزمر: ٢٩،وقوله: شركاء متشاكسون أي متشاجرون لشكاسة خلقهم ان هذه الآية تعقد مقارنة بين عبد له رب واحد يأتمر بأمره وينتهي بنهيه وبين عبد آخر لهّ عدة أرباب يختلفون في أوامرهم ونواهيهم، فهل يستوي هذان الرجلان؟ كلا لا يستويان مثلا، فالأول جمع وإثمار والآخر شتات وبوار؛ هذا هو المثل العرضي، وله في القرآن الكريم موارد أخرى كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنبياء :٢٢، وأما المثل الطولي يراد به أن الحقيقة القرآنية هي في عالمها شيء ولكنها عندما تأتي إلى عالمنا تصبح شيئًا آخر، فالحقيقة في عالمنا تأتي بصورة مثل، وهذا المثل يقع في طول تلك الحقيقة، فالمثل هنا أشبه بمرآة قد انطبعت فيها صورة الحقيقة، فهي تريك الحقيقة ولكن بوجود آخر، واما الحقيقة نفسها فتحتاج إلى طريق آخر لمعاينتها والتحّقق بها، وهذا النوع من الأمثال قد يأتي بأسلوب القصة، فالقصة لها حقيقة وواقعية، فهي ليست مجّرد اقصوصة يراد منها الوعظ والنصيحة أو التسلية والمتعة فتلك من أهداف القصة وليس القصة نفسها، نعم القصص الأدبية التي تكتب وتؤّلف ليست لها خلفية انطلقت منها غير خيال كاتبها، وأما القصة القرآنية فإنها تنطلق من واقعية عسُر علينا تلقيها وفهمها كما هي ، فآل الأمر إلى أن تضرب لنا على هيئة مثل أو قصة او ما شابه ذلك وهذا التمثيل الطولي من حسن صنيعه بنا سبحانه لنستشرف من خلاله بعض ملامح الحقيقة وننطلق بآتجاهها ، ولكن هذا التمثيل الطولي بالأسلوب القصصي لا يستلزم واقعية جمع القصص القرآنية بعبارة اخرى ليس جميع القصص القرآنية قد اريد بها الحكاية عن حقيقة واقعية لها عالمها الخاص بها فتنزلت لنا بهذا النمط من الامثال الطولية وانما نريد القول بان هناك جملة من الحقائق والواقعيات مُثلت لنا بأسلوب القصة فمثل هذه القصص تنم عن حقائق واقعية خاصة بها.

وفي موضع اخر يستشهد من تفسير الميزان(في المجلد الأول من الميزان صفحة 132) يقول الطباطبائي وبالجملة يشبه أن تكون هذه القصة التي قصّها الله تعالى من اسكان آدم وزوجه في الجنة ثم اهباطهما لسبب أكل الشجرة كالمثل يمثّل به، ثم يستنتج السيد الحيدري بان القصة ليست واقعية، فهي كاستعمالنا الامثال،كما تقول (في الصيف كذا ضيعت)او(الأمثال تضرب ولا تقاس)، (جاء بخفيّ حنين)[35] ويمكننا القول ان هذا الامر ليس دقيقا فكثير من الامثال التي تقولها العرب لها قصص حقيقية وقعت فعلا وعلى اثرها ضرب المثل، وما اشهر قصة المثل الذي تمثل به السيد، فقصة حُنين مع الاعرابي معروفة ما عليك الا مطالعة كتاب (اشهر الامثال العربية لوليد ناصيف) فاذا كان العديد من الامثال لها قصص فكيف تكون القصص امثالا ليس لها احداث واقعية، وقسم السيد الحيدري القصص القرآني الى ثلاثة اقسام بحسب تاريخ وقوعها فالقسم الاول: القصص التي وقعت في صدر الإسلام

والتاريخ كاملاً يشير إليها، مثلاً قصة بدر، قصة أحد، قصة بعض الأشخاص كأبي لهب، نستطيع من خلال التاريخ التثبت من صحتها وعدمها .

القسم الثاني من القصص أنها خارج عالم المادة كما يقول القران الكريم في خلق آدم ،فلا نستطيع التثبت منها لأنها خارجة عن عالم التاريخ فلا نعلم متى جمع الله الطين وجعله كصورة الإنسان ثم نفخ فيه من روحه هذا غير متصور.

القسم الثالث من القصص القرآنية قصص تاريخية ولكن لا يوجد عندنا تاريخ نتثبت من صحته كطوفان نوح، الآن يوجد اختلاف كبير أنه طوفان نوح أصلاً وقع او لم يقع وأين وقع، لهذا يستنتج السيد الحيدري ان كل من قصة موسى وفلق البحر وقصته مع العبد الصالح وقصة ابراهيم واربع من الطير وقصة اهل الكهف وغيرها من القصص كلها رمزية وليست هي احداث حقيقية،[36] ويفصل السيد الحيدري الرمزية في قصة النبي ادم عليه السلام عند مروره بقوله تعالى﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ البقرة: ٣١، انها قصة بدا الخلق واتخاذ الخليفة المطلق لله في عالم الامكان باسره والذي رمز له بالأرض مراعاة لعقول الامكانات المخاطبين بالقران فضلا عن كون مجموعتنا الشمسية مركز عالم المادة باسره وان الارض مركز مجموعتنا الشمسية فتكون الارض مركزا لعالم المادة باسره ،تساءل السيد الحيدري عن هوية ادم، فهل هو النبي ادم اول البشر في الارض والمخاطب بأية ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ البقرة:٣٥،ام هو شخص اخر؟

ثم تعرض لمفردة (علم) وهل المقصود منها العلم الحصولي الكسبي، ام الحضوري الشهودي ،ثم خلص الى ان هوية ادم المقصودة في الآية المباركة هو النبي محمد صلى الله عليه واله، وما ادم ابو البشر الا وجود متأخر وكمال لاحق فما كان السجود له حقيقة وانما هو صورة حكت تلك الحقيقة التي خر لها الجميع سجدا، واشار السيد الى ان علّية الخلق والسجود معا هي كمال مقام الخلافة ،ان قصة ادم في محاورها الاربعة،(خلقه، تعليمه الاسماء، اتخاذه خليفة، الامر بالسجود له)، تمثل الاطروحة الالهية الجامعة لما كان وسيكون...انها قصة كل واحد منا في قبال الخلق الاخر، فنحن مشروعه في الاصول الثلاثة(الخلق الخلافة السجود) وما نريد الفات النظر اليه هو توالي حلقات الرمزية في اية السجود بعد ان انطلقت من اية تعليم الاسماء فهناك سلسة متناسقة بين رمزية التعليم والاسماء والعلم والعالم والمتعلم والخلافة والسجود لادم فيه رموز كثيرة وعميقة منها الخضوع والاتباع المطلق، لكننا نرى فيه مرتبة اعمق من ذلك هي تحصيل الكمال فالملائكة وابليس بمعيتهم ناقصون قاصرون ،فتزودت الملائكة بكمالات السجود لادم واضاف ابليس لنقصه وقصوره الذاتيين تقصيرا بعدم السجود لادم[37].

تفنيد الاتجاهات الخيالية التمثيلية والرمزية

يمر عالمنا اليوم بدوامة فكرية نمت فيها وترعرعت افكار متنوعة، ساعد في نشرها المفهوم الخاطئ لتفسير الحرية، فالحرية لا تعني التوغل بعيدا عن جادة الصواب والتقول في القران ،فللقران اهله وترجمانه ،فما اشكل علينا وجب علينا الرجوع لهم، وما هذا التخبط في الفكر الا نتيجة الانحياز خلف جهات تظن نفسها تحسن وهي تسيئ، او تتعمد الاساءة، ويمكن للباحث ان يسجل ادلة متعددة على بطلان تلك الاتجاهات الفكرية:

1- كل الاخبار والاحداث والوقائع والاشخاص التي وردت في القصص القرآني واقعية حدثت في التاريخ البشري بدليل تأكيد الله سبحانه وتعالى بان كل ما جاء فيها هو الحق، او انه احسن القصص ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يوسف: ٣ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠ ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ الكهف: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ الإسراء: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ آل عمران: 62﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنعام: 57،وبعد التأكيد على ان هذه القصص حقة فلا حاجة الى حمل الحق على امر اخر كما ذهب السيد الحيدري فالمراد واضح.

2-تأكيد القران الكريم بان هناك قصصا لأنبياء اخرين لم يقصها سبحانه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ غافر: ٧٨، أي اضافة لهذه القصص الحقة توجد قصص لأنبياء لم يخبرنا بها سبحانه وهذا يدلل على ان كل القصص التي قصها لنا سبحانه في القران والتي لم يقصها هي حقة.

3-اذا تصورنا ان هذه القصص غير حقيقية ،فما هي الاحداث التي دارت بين الانبياء واممهم، الم تحدث أي احداث ومشاكل واعتراضات واجهها الانبياء، الم يقاسِ نبينا الاعظم صلى الله عليه واله الامرين من قومه وما جرى عليه جرى على الامم السابقة بدليل قوله ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ الأحقاف: ٩.

1- اذا افترضنا ان هذه القصص غير حقيقية فهذا يستوجب الظلم على الله سبحانه (وهذا محال) ،فيكون ادم متهم بالأكل من الشجرة وهو لم يأكل منها، ويونس قد اتهم زورا بانه خرج مغاضبا من دون امر الله ،وان موسى اتهم بقتل

الفرعوني وهو لم يقتله، الا يحق لهؤلاء الانبياء ان يعاتبوا الله سبحانه يوم القيامة على هذه التهم التي توجهت اليهم، ان لم يكونوا قد جرت معهم، بل ان وصف بعض القرى بعمل الرذيلة كاللواط والتطفيف في الميزان من دون غيرها من القرى فيه ظلم.

5- ذكر بعض التشريعات التي تخص تلك الامم في سياق القصص القرآني من قبيل قوله﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ النساء: ١٦٠،جاءت هذه الآية بعد الآيات التي عرضت لبعض قصص اليهود، ثم جاء قوله تعالى موضحا هذه المحرمات ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٦.

6- ترابط القصص القرآني بعضها ترابطا وثيقاً، وتأكيد بعضها للبعض الآخر، فمؤمن ال فرعون يذكر قومه بيوسف عليه السلام، وهذا يدل على حقيقة القصة ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ غافر: ٣٤.

7- تذكير مشركي العرب بالآثار التاريخية للأقوام السابقة، التي اهلكها الله لمخافتها انبيائها، والتي كانت شاخصة امام اعينهم يرونها في اسفارهم ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الصافات: ١٣٧، والمراد بالمرور عليهم أي انكم (مشركو العرب) تمرون على ديارهم الخربة، فإنهم على طريق الحجاز إلى الشام ،فاذا كانت العرب تمرُ على آثار قوم لوط وغيرهم من الامم ألا يعد ذلك دليلا على صدق الاحداث التاريخية التي وقعت بين الانبياء واممهم[38].

8- الادعاء بضرورة ابعاد القرآن عن الاحداث والوقائع التاريخية خوفاً من عدم مطابقتها الاكتشافات التي يقوم بها علماء الآثار باطلة، فقد تم موافقة هذه الاكتشافات للأحداث التاريخية التي ذكرها القرآن ومنها ما كشفت عنه مجلة باري ماتش الفرنسية أن فريقاً طبياً فرنسياً يتكون من (112)طبيباً أعلنوا أن فرعون مصر في زمن موسى عليه السلام مات غرقاً كما اخبر بذلك القرآن الكريم قبل أكثر من 1400 عام، وأعلنت ذلك الدكتورة كريستسن نيلكوت رئيسة الفريق الطبي الفرنسي ، وأضافت أن الفحوص التي أجريت على جثة فرعون المعروضة الآن في المتحف المصري أثبتت وجود حبيبات رملية بحرية وصحراوية على جسده وشعره ووجود فطريات على جلده سببت تآكلاً تم علاجه بالأشعة ليبقى بدنه في ذمة الخلود، [39] كما أخبر الله في كتابه:﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ يونس: ٩٢

9- اعتبار قصة اصحاب الكهف قصة اسطورية او تمثيلة باطل من الناحية النقلية والعقلية، ففي المأثور روى ابن بابويه ، عن أبي جعفر عليه السلام ان: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا أبا بكر وعمر وعثمان وعليا عليه

السلام فقال : امضوا حتى تأتوا أصحاب الكهف وتقرؤهم منى السلام ، وتقدم أنت يا أبا بكر فإنك أسن القوم ، ثم أنت يا عمر ، ثم أنت يا عثمان ، فان أجابوا واحدا منكم ، والا فتقدم أنت يا علي كن آخرهم ، ثم امر الريح فحملتهم حتى وضعتهم على باب الكهف، وفي رواية ابن عباس انه جاء أحبار من اليهود في خلافة عمر بن الخطاب يسئلون عن عدة مسائل، من بينها قصة اصحاب الكهف، فأجابهم علي بن ابي طالب عن اسماء اصاحب الكهف واسم كهفهم وملكهم وكلبهم ومدينتهم وعددهم[40]، وغيرها من الروايات التي تؤكد الحقيقة التاريخية لأصحاب الكهف.

اما من الناحية العقلية فما جاء في القصة من اعجاز علمي ينفي كونها اسطورة، فالأسطورة مبنية على الخرافات لا الاحداث العلمية الرصينة، ومن تلك الامور العلمية انه حتى ينام أصحاب الكهف بصورة هادئة وصحيحة هذه المدة الطويلة من دون تعرضهم للأذى، وفر لهم الباري عز وجل الأسباب التالية : تعطيل حاسة السمع إذ إن الصوت الخارجي يوقظ النائم، وذلك في قوله تعالى (فضربنا على آذانهم) والضرب هنا التعطيل والمنع، أي عطل حاسة السمع عندهم مؤقتا والموجودة في الأذن، والمرتبطة بالعصب القحفي الثامن، ذلك أن حاسة السمع في الإذن هي الحاسة الوحيدة التي تعمل بصورة مستمرة في كافة الظروف، وتربط الإنسان بمحيطة الخارجي ، كما تعطل الجهاز المنشط الشبكي الموجود في جذع الدماغ، والذي يرتبط بالعصب القحفي الثامن أيضا (فرع التوازن).

إن هذا العصب له قسمان: الأول مسؤول عن السمع، والثاني مسؤول عن التوازن في الجسم داخلياً وخارجياً، ولذلك قال الباري عز وجل (فضربنا على آذانهم)، ولم يقل (فضربنا على سمعهم)أي إن التعطيل حصل للقسمين معا وهذا الجهاز الهام مسؤول أيضا عن حالة اليقظة والوعي وتنشيط فعاليات أجهزة الجسم المختلفة والإحساس بالمحفزات جميعا وفي حالة تعطيله، أو تخديره يدخل الإنسان في النوم، اما عن قوله (وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِين وذاتَ الشِّمَالِ)الكهف/18؛ لئلا تأكل الأرض أجسادهم بحدوث تقرحات الفراش في جلودهم والجلطات في الأوعية الدموية والرئتين ،وهذا ما يوصي به الطب التأهيلي حديثا في معالجة المرضى فاقدي الوعي أو الذين لا يستطيعون الحركة بسبب الشلل وغيره ،وتعرض أجسادهم وفناء الكهف لضياء الشمس بصورة متوازنة ومعتدلة في أول النهار وآخره للمحافظة عليها منعاً من حصول الرطوبة والتعفن داخل الكهف في حالة كونه معتما وذلك في قولة تعالى (وَتَرَى الشَّمس إذا طَلَعتْ تَزاورُ عن كهْفِهِمَ ذاتَ الْيَمين وإذا غرَبتْ تَقرضُهُمْ ذاتَ الشِّمال)الكهف/17، والشمس ضرورية كما هو معلوم طبيا للتطهير أولا ، ولتقوية عظام الإنسان وأنسجته بتكوين فيتامين (د)، ووجود فتحة في سقف الكهف تصل فناءه بالخارج تساعد على تعريض الكهف إلى جو مثالي من التهوية ولإضاءة، [41] (وَهُمْ في فَجْوَةٍ مِنْهُ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللهِ) الكهف /17،ومن الامور العلمية ما نجده في قصة النبي يوسف عليه السلام اذ اوصى ببقاء الحنطة بسنابلها؛ كي لا تتلف وغيرها من الامور العلمية والحسابية الدقيقة التي تثبت حقيقة القصص القرآني.

10- بعض الاثار الموجودة في يومنا هذا تنفي الاسطورية والتمثيلية والرمزية في القصة، فوجود الكعبة المشرفة مثلا يدلل على وقوع كل القصص التي أخبرنا بها القرآن عن النبي ابراهيم عليه السلام.

11- الدنيا كالمسرح تتكرر احداثها ووقائعها(التاريخ يعيد نفسه) فما دار في الامم السابقة يقع ويتكرر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (لتركبن أمتي سنة بني إسرائيل حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع)[42] بل حتى الافراد يصدق عليهم الصفة نفسها، فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لعلي (من أشقى الأولين، قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين، قال: الله ورسوله اعلم، قال: قاتلك)[43]، فتشبيه ابن ملجم بعاقر ناقة صالح يدل على وقوع القصة.

المبحث/ الثاني القصص القرآني والاتجاه القصدي

المطلب الاول/ تعريف المنهج القصدي

المنهج القصدي: هو منهجٌ ينفي المجاز والاستعارة وتقدير المحذوف في اللغة العربية ،مؤكدا جديّة اللغة وقصديتها دون أن تترك للمجاز والاستعارة مجالاً ليسرح فيها ،بل كلّ ألفاظ اللغة العربية هي معانٍ حقيقيّة، والرائد فيه هو سبيط النيلي العراقي ،المولود عام 1956 ، كان استاذاً في إحدى الكليات ،وبرع في العلوم الأكاديمية ،القت دراسته الهندسية بظلالها على نظرته للقرآن الكريم ككتابٍ إلهي يحتوي نظاماً هندسياً يليق بالمتحدث العظيم الذي خلق كل شيء بقدر، فحري بكلامه أن يكون دقيقاً ومحتوياً لنظامٍ هندسيٍ متكاملٍ بدءاً من الحروف وصولاً إلى المفاهيم، وهذا ما دفعه إلى رفض تبني الطرائق نفسها الموروثة لدى المفسرين واللغويين في فهم القرآن الكريم، وقد وضع في كتابه النظام القرآني جملة من المبادئ لقراءة كتاب الله ومعاملته بطريقة تختلف عن طريقة التعامل مع كلام خلقه إيمانا منه بان كلام الخالق قصدي الدلالة ،وكلام خلقه قد يتخلله الإعتباط والعشوائية في توظيف الدلالات كالمجاز والترادف والمشترك اللفظي وغيرها، ليس القرآن الكريم هو الوحيد قصدي الدلالة في نظر عالم سبيط وإنما حديث النبي (صلى الله عليه واله) وأهل البيت (ع) أيضا، بل إنه يرى أن اللغة في الأصل وبيئتها العامة قصدية الدلالة أيضا لكن تغير الظروف الزمكانية والإجتماعية هي التي تتحكم بمدى ثبات قصدية لغة مجتمع ما من عدمه. لقد إستطاع إلى حد ما إيجاد روابط عميقة بين قصدية كلام النبي (ص) وأهل بيته (ع) وبين كلام الله تعالى.

أثارت أفكاره زوبعة من الإعتراضات والإتهامات من قبل المؤسسة الدينية (إلا ما ندر) وكذلك بعض أطراف المؤسسة الثقافية حتى وصل الأمر إلى إتهامه بالعمالة والكفر ولم يسعفه الوقت للرد على تلك الإتهامات لأنه قد وافاه

الأجل (مسموماً) في أربعينياته بتأريخ 2000/8/17 ، لكن بالمقابل حصل النيلي على تأييد ودعم كثير من الأكاديميين وأساتذة الجامعات في العراق، خصوصا بعد بروز نجمه بعد وفاته وبعد إنتهاء حكم صدام حسين الذي كان يمثل مانعاً رئيساً من ظهور الفكر النيلي القصدي إلى العلن، فعُقدت بعض الندوات والأمسيات التي تناولت فكره فأسهمت إلى حد ما في نشر أفكاره وإجتيازها حاجر الحدود شيئاً فشيئاً لتصل إلى عديد من الدول العربية والإقليمية والقراء العرب حول العالم[44].

المطلب الثاني/خصائص المنهج القصدي

يمكننا ان نعد ما جاء في مقدمة كتاب ملحمة كلكامش هو المحور الذي يدور عليه هذا الاتجاه ،فقد قال النيلي في معرض كلامه عن منهجه المتبع في هذا الكتاب (إخضاعَ النصِّ لشروطِ البَحْثِ والتي مِنْهَا)[45]:

1-إنّ النصَّ قصديُّ الدّلالةِ: وهذا يعني استبعادَ كافّةِ الطرائقِ اللغويةِ قديمِها وحديثِها لمعالجةِ النصِّ، فهذا المنهجُ لا يُجيزُ إجراءَ أيِّ تقدير للجملةِ أو إعادةٍ لبنائِها بعد التفكيكِ، كَمَا لا يُجيزُ إجراءَ أيِّ تقديمٍ أو تأخيرٍ لألفاظِ العبارةِ، وقصديةُ النصِّ في هذا المنهجِ هي حاصلُ مجموعِ القصديةِ في كلِّ عبارةٍ من عباراتِهِ.

2- إنّ اللفظَ قصديُّ الدّلالةِ أيضاً: فلا يجوزُ تقديرُ غيرِهِ أو تخمينُ مرادفٍ له، فثمّة ألفاظ يَتَساهلُ المترجمون والشُّراحُ في اعتبارها من المترادفاتِ، بَيْنَمَا تَكْمِنُ دلالةُ النصِّ في التفريقِ بَيْنَهَا.

3- إنّ اللفظَ عامُّ الدّلالةِ: فهو ينطوي على(حركةٍ عامّةٍ)، ويستحيلُ أن يكونَ بحركةِ أيِّ لفظٍ آخرٍ، وَلِذَلِكَ فإنّه غيرُ مقيّدٍ بشيءٍ سوى حركتِهِ هو، ولا يتداخلُ مَعَ أيِّ لفظٍ آخرٍ في المفهومِ، وإنّما قَدْ يشاركُ عدداً كبيراً من الألفاظِ في وصفِ شيءٍ أو إيقاعِ الحركةِ على هذا الشيءِ، ويُعد هذا المبدأُ من أهمِّ مبادئِ الحلِّ القصديِّ للّغة، حيثُ تمكَّنَ بِهِ من التخلّصِ من عددٍ كبيرٍ من الإشكالاتِ اللّغويةِ في النّصوصِ، فمثلاً: إنّ لفظَ (ربٌّ) في هذا المنهجِ لا يعني (إله)،ولكنَّ مفردةَ (إلهٍ) في انطباقِها الخارجيِّ على الذّاتِ (سبحانه وتعالى) تعني بالضرورةِ (رباً) وتنطوي عليه، والعكسُ غيرُ صحيحٍ؛ وسببُ ذلِكَ إنّ الإلهَ لا يكونُ إلهاً حتّى يكونَ قبلَ ذلِكَ ربَّاً، الإلهُ واحدُ والأربابُ كثيرون، ولكن لو قُلْتَ: (فلانٌ اتَّخَذَ إلهين)، فهي عبارةٌ لا تعني وجود إلهين فعلاً، وإنّما تعني بوصفِ هذا الفلان وفكرته المخالفة لمعنى اللفظِ، إذ أنّ لفظَ (إله) لا تَنْطَبِقُ حركتُهُ إلاَّ على واحدٍ في الوجودِ لا يتعدّدُ، ولو أَضفتَ صفةً أخرى للربِّ مثل (الرّب الأعلى) لكان المتعيّنُ مِنْهَا هو الإله فقط، لأنّها أعلى صيغةٍ من صيغ التفضيل.

ومعنى ذلِكَ إنّ المرءَ لو قَالَ(فلانُ ربّي) فلن يكفرَ شرعاً ولا لغةً، لأننا نستعمل هذِهِ المفردةَ في عباراتٍ مشابهةٍ فنقول: (فلانُ ربُّ الدّارِ وربُّ المالِ وفلانُ ربُّ البيتِ...الخ)، ويمكن أن يكونَ للجماعة ربٌّ أيضاً إذا كَانَ يعتني

بتربيتهم على أيِّ نحوٍّ سيّء كَانَ أو حَسَنٍ، ومن هنا قَالَ يوسفُ (عليه السلام) في القرآن الكريم للسجين (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّك)(يوسف: من الآية42)، لأنَّ السجين مربوبٌ للملكِ، ولكنَّ المَلِكَ لَيْسَ ربّاً ليوسّفَ (ع)، ومن هنا نعلمُ أنَّ فرعون لو قَالَ (أنا ربُّكم) وسَكَتَ لَمَا كَانَ يعني الإلهَ ولَمَا كفَرَ، ولو قَالَ (أنا ربُّكم العالي) لَمَا كفر أيضاً، وإنّما حدّدَ فقالَ (أنا ربُّكم الأعلى) فَعَنَى ذلِكَ الإلهَ.

ولو كَانَ الربُّ هو دوماً إلهاً على اللّغةِ لمّا جازَ ليوسفَ (ع) أن يسمِّيَ للسجين رَبّاً غيرَ الله، ولو قَالَ المرء: (فلانٌ اتخذّ ربّاً من دون الله أو الإله) لكان ذلِكَ يعني اتخذّ إلهاً لأنّه أضافَ المركّب (من دون)، لذلك وبّخ القرآنُ من اتخذّ ربّاً من دون الله فقال:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ، ويخطئ أهل اللّغة خطأً كبيراً حينَمَا يقولون إنّ عبارَةَ (من دون الله) هي لزيادَةِ الإيضاحِ، لأنَّها جزءٌ من المعنى لا يمكنُ فَصْلُهُ، لأنَّهم أربابٌ فعلاً، ولكنَّ اتخاذَهُم أرباباً من دونِ اللهِ هو المرفوضُ تحديداً لا سواه.

المطلب الثالث/القصص القرآني في الاتجاه القصدي

أخذ القصص القرآني حيزاً كبيراً في توضيح النيلي لمنهجه، ففي قصة خلق ادم يذكر النيلي مقولة للأمام علي (عليه السلام): لو عرف الناس كيف خلق آدم ما اختلف رجلان، إن معرفة الناس كلهم بكيفية خلق آدم هو شرط لإزالة الاختلاف؛ ولأنّهم لا يعرفون لذلك اختلفوا، وعدم معرفتهم ليس بسبب مانعٍ خارجي، وإنما لعدم رغبتهم هم بالمعرفة لقناعتهم بالمتيسر منها، ثم يذكر النيلي اراء المفسرين في قوله تعالى﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ الحجر: ٢٨، وقد زعم المفسرون واللغويون أن(الصلصال)هو الذي يحدِث صوتًا يرن، بينما (الصلصال) على الأصل هو الخلاصة المتركِّزة في نقطة، ثم صارت المفردة اصطلاحًا فسميت به البقعة البيضاء في الفرس الأدهم والقطرات الأخيرة من الماء الجاري، ثم أصبحت وصفا ، فكلُّ ما يحدث صوتًا مشابهًا لصوت الماء يصلصل، اما هو فيرى ان القرآن يستخدم الأصل اللغوي لا الاصطلاحات، فالصلصال هو الخلاصة المتركزة المأخوذة من (الحمأ) وهو الكتله من المادة موضوعة في شرعةٍ ومنهاجٍ (مسنون)، ولها قدرةٌ ذاتيةٌ على حماية نفسها، كما أن لها قوةٍ ذاتية تساعدها على البقاء عن طريق الانقسام والتكاثر، إذن: (الصلصال من حمأ المسنون) هو المادة الأولى للحياة، وقد برهنا بكلِّ يسرٍ على خطأ من قال أنَّه كان جسدًا من الطين المفخور بالنار يصلصل إذا ضربته، فقد التبس عليهم الأمر فيه أيضًا.

اما قوله تعالى﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ الرحمن: ١٤ كما التبس في أمثاله، إذ الفخار ليس هو المفخور بالنار، بل المتفاخر في ذاته والمتميز على أشباهه، فتلك المادة الأولى للحياة التي شحنها البارئ بقوة

البقاء هي خلاصة من مكونات الأرض سّنت وفق منهاج (مسنون) وحميت ذاتيًا بقوة البقاء (حمأ)، ثم صارت فخارة على المادة التي جبلت منها (فخار) بقدرتها على التفاخر أي الترقي والسمو فهي ليست (فخارا)بالمعنى الاصطلاحي، بل هي كأي فخَّار (وهو أي شيء يسمو على منشئه الأول) لمكان كاف التشبيه (كالفخار)، وبعد ان فصل القول في معاني قوله تعالى(خالق)(سويته) توصل الى ان التراب قبل الطين في مسالة الخلق [46].

ثم فصل النيلي معنى كلمة الشجرة في اية﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ البقرة: ٣٥،وربط شرحه بقصة نوح وابنه إذ اشار سبيط النيلي إلى رأي يكون محل جدل ، إذ توقف عند الآية ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هود: ٤١ – ٤٣،يعتقد النيلي بان ابن نوح لم يكن كافراً، وهذه نقطة الاختلاف مع غيره من المفسرين ، فيقول: (إن بمقدورنا أن نبرهن أن ابن نوح لم يكذب بوقوع العذاب، ولم يكن من الساخرين ، لقد كان من هذه الناحية في (أتم الإيمان)، بل لابد أن نعتقد على وفق النص القرآني انه بنى فلكاً أيضاً (سفينة) لتنقذه من الطوفان.

ثم ان النيلي يسوق ادلة على رايه منها : المحاورة التي جرت بين نوح (عليه السلام) وابنه ، وكونها حدثت بعد الطوفان بمدة ،مما لا يحتمل أن ابن نوح كان في الماء من دون سفينة ، وكون تلك المحاورة أفادت المستقبل الدليل قوله (سآوي) التي تدل على المستقبل ، كما (انه في حال المحاورة لم يكن في جبل وإنما سيحاول الإيواء إلى جبل لم يحدده بعد ، ومعنى ذلك انه الآن في الماء ، وهو أمر محال بغير سفينة ما دامت الأمواج كالجبال ، أن ابن نوح كان ظاهرياً يؤدي العبادات والمناسك الدينية التي يفعلها نوح (ع) ومن آمن به ، غير انه لا يريد إتباع نوح والوقوع تحت أمرته ، مستدلا على ذلك من خلال المحاورة أيضاً، إذ لم يقل نوح (ع) ((لا تكن من الكافرين)) بل قال:((وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ)، مستدلا بوجود الحرف (مع) على وجود أفراد معه في سفينته ثم يؤكد النيلي الأيمان بالرسل شيء مختلف عن الإذعان لهم وطاعتهم طاعة مطلقة[47].

وللنيلي راي في قصة إبراهيم (ع) والنمرود فقد اختلف النيلي مع غيره من المفسرين في مسالة المحاججة التي حصلت بين إبراهيم (عليه السلام) والنمرود ، وعودة الضمير على أي منهما ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨،فثمة رأيان في هذه المسالة ، الرأي الأول: قال بعودة الضمير في لفظة (آتاه) على النمرود ، ويجيب عن سؤال يفترض انه يتوجه إليه مفاده ، كيف يجوز أن

يؤتي الله الكافر الملك ؟ ويجاب عنه : الملك على وجهين : احدهما – يكون بكثرة المال واتساع الحال ، فهذا يجوز أن ينعم الله (عز وجل) به على أي احد مؤمنا كان ام وكافر.

الثاني – ملك بتمليك الأمر والنهي والتدبير لأمور الناس، فهذا لا يجوز أن يجعله الله لأهل الضلال، ومن قال الهاء كناية عن إبراهيم (ع) لم يتوجب عليه السؤال ،لأنه تعالى لم يؤت الكافر الملك ، وإنما أتى نبياً مرسلاً، أما القراءة التي قرأها النيلي ، فهي لا تحيد عن أن الضمير يعود على إبراهيم (ع)، والملك الذي تسلمه إبراهيم (ع) إنما هو ملك ظاهري ، كما يرى بان المحاججة لم تكن في الله، بل كانت في ملك الله يقول في ذلك : ((كانت محاججة نمرود لإبراهيم هي بشان أيهما أحق بالملك والسلطان، والآية المباركة واضحة في تقرير أن الله آتى الملك لإبراهيم، وقد ذكرت قضية الإيتاء في مواضع أخرى من القرآن كقوله تعالى:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٥٤، ومع هذا الوضوح فقد أصر الاعتباط اللغوي والتفسيري .. أصر على إعادة الضمير في الآية إلى (النمرود)[48].

واغرب ما توصل اليه النيلي هو في قصة ذي القرنين إذ يدعي ان شخصية ذي القرنين التي وردت في القرآن الكريم هي نفسها الشخصية الاسطورية كلكامش، فهو يقارن بين ما جاء في الواح الاسطورة وبين الآيات المباركات مقاربا في معانيها ،بعد ان بذل كل جهوده في ترميم الجوانب الخرافية في الاسطورة وتنقيتها من جوانب الاشراك بالله سبحانه ، وليثبت ان هاتين الشخصيتين شخصية واحدة كان يلاحظ اوجه الشبه فيما بينهما حسب ما يراه هو، فبدأ بنقاش أوجه الشبه بين الشخصيتين بحسب ما ورد في الالواح الرقمية ونصوص الآيات، حتى انه ذهب بترجمة اسم كلكامش الى معنى (عياش) ثم اكد ان هذا الاسم هو عينه الوارد عن روايات ال البيت عندما سئلوا عن اسم ذي القرنين.

وذهب الى ان التشابه وصل حد ان كلاً من القران والملحمة بدأا باستعمال بُنْيَةٍ تعبيريَّةٍ محدَّدَةٍ بألفاظٍ متشابِهَةٍ جداً تكونُ في كلٍّ من النصَّيْنِ بدايةً للسَّرْدِ القصَصيِّ، فليستْ مصادَفَةً أنْ تبدأَ القِصَّتانِ (القرآنيَّةُ من جهةٍ والملحميَّةُ من جهةٍ أخرى) في (فَمَعْرِفَةُ كُلِّ الأشياءِ) هو جَوْهَرُ ما انطوَتْ عليه العبارتانِ في النصَّينِ مَعَ الفَوارِقِ الجوهريَّةِ بَيْنَ الكلامِ الإلهيِّ والكلامِ البشريِّ[49]، فالسَّرْدُ القرآنيُّ بَدَأَ هكذا: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ الكهف: ٨٤ ،أما النصّ الملحميُّ فَقَدْ ابتَدَأَ هكذا: هُوَ الذي رَأى كُلَّ شيءٍ وَخَبِرَ (البلادَ)، الذي عَرَفَ الأرضَ كلَّهَا ليسلِّمه.

ثم أكد ان هناك تشابه في وصف الجبل وتشابه عمل حارس الجبل في نص الملحمة واقوال الامام علي والقرآن الذي وصف الجبل بالصدفين، ثم التشابه في وصف المحطات التي تنقل بها كل من الشخصيتين، والتشابِهُ في

الملوكيَّةِ لَقَدْ كانَ هذا التشابهُ واضِحَاً بَعْدَ تأكيدِ النصوصِ على كونِ ذي القرْنَينِ قَدْ مَلَكَ فِعْلاً في الأرضِ وبَعْدَ التعبيرِ القرآنيِّ (إنَّا مكَّنَا لَهُ في الأرضِ) الذي يَدِلُّ في العادةِ على المُلْكِ، أمَّا ملوكيةُ جلجامشَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ أمْرَاً مفروغاً مِنْهُ، إذ الثابِتُ تاريخياً أنَّ جلجامشَ مَلَكَ في الوركاء وجاءَ اسمُهُ في ثَبْتِ الملوكِ السومريِّ من سُلالةِ الوركاءِ الأولى وهي ثاني سُلالةٍ تَحْكُمُ الوركاء بَعْدَ الطوفانِ، إذ حَكَمَتْ قَبْلَهَا سُلالةُ كيش الأولى، وفي القصة استنتاجات واحداث متعددة عند النيلي منها ما يتعلق بمعنى العين الحمئة ،ومنها الرحلات المتعددة لذي القرنين، إذ ذكر أن ذا القرنين وجد على سطح (الكوكب او العين الحمئة)خلق تتناسب اجسامهم وطبيعة سطح هذا الكوكب الحار جداً فقضى بينهم وحاسب الظالمين واثاب المؤمنين الصالحين.

ثم واصل رحلته الفضائية بدليل الآية (ثم اتبع سببا) مغادرا ذو القرنين هذا الكوكب ،وكانت نقطة انطلاقة عكس نقطة انطلاقه الاولى حيث الشروق وليس الغروب﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ الكهف: ٩٠،والسبب في ذلك ان هذا الكوكب الذي غادره ذو القرنين حركة دورانه تختلف عن بقية كواكب المجموعة الشمسية أي عكس الحركة الاولى ويعتقد انه كوكب الزهرة ولو انطلق من المغرب لعاد الى الارض ولكنه انطلق من الشروق ليواصل رحلته الى الكواكب الداخلية باتجاه الشمس، وصل ذو القرنين الى المكان الثاني في الرحلة ﴿ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴾ الكهف: ٩٠، تركهم ذو القرنين بعد ان عرف انهم في مراحلهم الاولى أي مرحلة بدائية، (ثم اتبع سبباً) أي واصل رحلته باتجاه الكواكب الاخرى ولم يحدد السياق القرآني نقطة الانطلاق لأن الرحلة استمرت ولا يجب التكرار في ذلك،﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ الكهف: ٩٣.

وصل ذو القرنين الى هذا الكوكب، وهي نهاية رحلته في القرآن وبناء السد فيه، ان طبيعة هذا الكوكب التي ختمت الرحلة فيه يتميز بقوة الفيض المغناطيس على قطبيه والتي هي خطوط غير مرئية مشابهة للخطوط الموجودة في داخل الاصداف البحرية (حتى اذا ساوى بين الصدفين) وبذلك يكون السدين هما كالجبلين المتجاورين من القمة ولكن غير مرئيين، فوجد ذو القرنين قوما ليس لديهم حضارة ؛لان اللغة هي الحضارة عند أي شعب او قوم فعبر عنهم القرآن بـ(لايكادون يفقهون قولا)، ذهب عالم سبيط النيلي ان ياجوج وماجوج اخذت من ((الاج والمج)) أي الحركة الغير المنظمة والسرعة العالية ونتيجة لهذه الصفات يتسلل اصحاب الاج والمج من بين السدين أي الفتحة الخالية من المغناطيسية العالية، ويفسدون في هذا الكوكب، الذي يتميز بكثرة خام الحديد على سطحه ووفرته.

طلب ذو القرنين منهم ان يجمعوا كمية من الحديد المتوفر على سطح كوكبهم وقام بصهره ومزج معه النحاس الذي يحتاج الى حرارة قليلة وهي متوفرة في الحديد الذائب المنصهر وبذلك صنع ذو القرنين قطعة مغناطيسية كبيرة قام بتعليقها بين السدين أي بين قطبي الفيض لذلك الكوكب، والتي تصعق كل من يحاول التسلل من تحتها، أي بين

السدين؛ لأنها اصبحت كهرومغناطيسية، وبذلك قالت الآية﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ الكهف: ٩٧ ،هذا الجانب الاول من القصة التي اراد الكاتب الوصول اليها وهي فضائية الرحلة.

وفي كتاب النظام القرآني يذكر النيلي لكل قاعدة يؤسس لها مثالا قرآنيا، منها ما يتعلق بالقصص القرآني، فقاعدة ان كل حرف في القران يجب ان يبقى في مكانه ولا يجوز لاحد تغييره، وخير مثال قوله تعالى على لسان فرعون ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴾ الذاريات: ٣٩، فقد زعم المفسرون والنحويون ان معنى(او) هنا بمعنى (الواو) والمعنى عندهم ان فرعون تولى بركنه يقول عن موسى ساحر ومجنون، وسخروا من عقل فرعون اذ جمع بين السحر والجنون وهما لا يتفقان لان الساحر لطيف الحيلة والمجنون فاقد للعقل، بينما الاتجاه القصدي يرى ان (او) ليست من مقولة فرعون ،بل هي من مقولة الله تعالى ،وان الله هو الذي يقول عن فرعون انه يزعم تارة ان موسى عليه السلام ساحر وتارة اخرى مجنون، ثم يناقش قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ فصلت: ١١.

يطرح النيلي اسئلة عدة مستنكرا حمل الآية على المجاز منها كيف يكون معنى الطائع كالقائل؟ ما الفائدة من اعطائهما الحرية في الاختيار اذا كان مصمما على اجبارهما؟ واذا كان الله تعالى قد خلق فيهما الكلام واجابتاه بلا شعور ووعي فما الذي يجعله يقص علينا تلك القصة التي حدثت قسرا بإرادته؟ الذين حملوا الآية على المجاز وغيروا هذا اللفظ(قالتا) في معناه هنا فقط دون سائر المواضع لاعتقادهم ان الجماد لا يقول شيئا ،ويجيبهم النيلي اليس كل شيء يسبح لله تعالى﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾ الإسراء: ٤٤،﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ ﴾ سبأ: ١٠،ثم ان الله تعالى لم يقل تكلمتا بل قال قالتا، والقول شيء والكلام شيء اخر ذلك ان المتكلم قائل وليس كل قائل متكلم ،ويذكر تفاصيل اخرى في هذه المسالة[50]،وعلى هذا النهج سار النيلي في توضيح منهجه في باقي القصص القرآني.

نقد المنهج القصدي

المنهج القصدي وان كانت فيه ايجابيات الا انه لا يخلو من العيوب، ووجهت له كثيرٌ من المطاعن منها:

1-ان الاساليب اللغوية امور لا بد منها فالقرآن نزل بلغة العرب، فالمجاز مثلا في القرآن او القصص القرآني ضروري لا يمكن الاستغناء عنه في فهم الآيات المباركة ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ طه: ١٢١، فكيف يمكن لهذا المنهج شرح هذه الآية دون حملها على المجاز، وهو قائم على تتبع المفردة قرآنيّاً؟ وقد ورد في فرعون قوله: ﴿ فَعَصَىٰ

فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ المزمل: ١٦ ، كما ورد عن فرعون أيضاً:﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ النازعات: ٢٠ - ٢١ ، وأمّا مفردة غوى، فقد نفاها القرآن عن النبي في سورة النجم إذ قال تعالى:﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ النجم: ٢ ، وكذلك قوله تعالى على لسان يونس: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧[51].

2- وقوع المنهج في التأويل والتخريج: لقد تكرر في التفسير القصدي اللجوء إلى التأويل لأيّ مورد يراه مخالفاً لرأي يتبناه، فيشنّ التفسير القصدي هجوماً على المفسرين لتصرّفهم في كلمة (قول)في الآية المباركة﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ فصلت: ١١، بالالتزام بأنّ في الآية مجازاً أو بأنّ اللّه قد خلق الكلام خلقاً؛ لأنّ القول لا يصدر من الجماد، ولحل المشكلة يتبنى التفسير القصدي الالتزام بأنّ القول هو شيء غير الكلام، متمسكاً لإثبات ذلك بتتبع مفردة (القول) في الاستخدام القرآني، وذلك في الآيات:﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ الرعد: ١٠،﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ الأنبياء: ١١٠﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ طه: ٧﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٤﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق: 18 ، ولكن تتبع هذه المفردة يصطدم بموارد أخرى من قبيل:﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ الأحزاب: ٣٢ ،﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ طه: ١٠٩، وهنا يدخل التفسير القصدي في عملية تأويل أو توجيه لهذه المفردات الثلاث فيقول:

أ-إنه لو قال (لا تخضعن بالكلام) لكان يجيز لهنّ الخضوع بالقول، وهو في النفس، فإذا خضع قلب المرأة فإنّها قادرة على إيصاله بلا كلام، فأراد قطع الخضوع من أصله.

ب-أراد سبحانه أن يكون اللين صادراً من قلبيهما، وهو منتهى الحكمة والعدل والمعروف. ويقول ختاماً: وأما الموارد الأخرى، فعلى الباحث تدبّر ما فيها واكتشاف إشاراتها. من الواضح أنّ هذا يؤلف تطبيقاً تعسفياً يفتح الباب أمام اختلاف في عملية ملاحظة المفردات أراد التفسير القصدي الفرار منه وجعله محوراً أساسياً في هجومه على المفسرين[52].

3- معرفة القصد في الآيات القرآنية واحاديث النبي صلى الله عليه واله لا يعلمه الا الله سبحانه، ومن نزل القران في بيوتهم واصحاب النبي الابرار، فعن حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ أَنَّهُ عَرَضَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بَعْضَ خُطَبِ أَبِيهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَوْضِعاً مِنْهَا قَالَ لَهُ كُفَّ وَاسْكُتْ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع):(لَا يَسَعُكُمْ فِيمَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ إِلَّا

الْكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ والرَّدُّ إِلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى حَتَّى يَحْمِلُوكُمْ فِيهِ عَلَى الْقَصْدِ وَيَجْلُوا عَنْكُمْ فِيهِ الْعَمَى وَيُعَرِّفُوكُمْ فِيهِ الْحَقَّ...)[53]

4- بعض تخريجات النيلي للنصوص القرآنية التي طبقها ما هي الا اقرار بالمجاز، فقد فسر المفسرون الشجرة في قوله﴿ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ الأعراف: ١٩،على انها نوع من انواع النبات ،اما النيلي فذهب الى انها بمعنى الذرية والنسب ،فتغير مفهوم الآية ، فالآكل اصبح بنظره ليس اكلا عاديا بل هو تعدٍّ واستعمال لطاقات الغير بصورة استبدادية بحيث يظهر الفاعل انانيا الى ابعد حد[54]،ويمكننا نقض ما ذهب اليه الاتجاه القصدي بالتأمل جيدا فيما جاء عن العلماء وايجاد تخريج جديد لا يتناقض مع ما ذهبوا اليه:

اولا: حل الاشكال في قوله تعالى (ساحر او مجنون) فيمكننا الذهاب مع ما جاء به علماؤنا بحمل (او)بمعنى(الواو) اذا افترضنا ان فرعون اتهم موسى عليه السلام بالسحر عندما رأى معجزات موسى التي تقارب السحر الذي اشتهر في ذلك الزمان، ثم اتهام فرعون لموسى بعد ذلك وفي المقام نفسه بالجنون حينما طلب موسى من فرعون ان يؤمن له، فكيف يؤمن فرعون باله موسى وهو يدعي انه اله، وهذا يستوجب ان يكون موسى مجنونا حسب ما يراه فرعون.

ثانيا: قصة ذي القرنين تستدعي النظر والتأمل بدقة ،فحتى الاحاديث والروايات غير كافية بالجزم بالأحداث والشخصيات الواردة فيها، فالخلاف قائم حول شخصية ذي القرنين، تحديدا في اسمه، فقد طرحت اسماء متعددة، اضافة لتفسير العين الحمئة، ومغرب الشمس، وياجوج وماجوج، وقد يكون في المسالة اسرار الهية؛ لأنها مرتبطة بأحوال اخر الزمان، او اسرار علمية كمغرب الشمس وغيرها، وقد تتوضح الحقائق في أي وقت ، فالإدعاء بأن ذا القرنين هو كلكامش ضرب من الخيال، خصوصا وان الاطروحات التي قدمت لتبني هذا الطرح لم تثبت علميا.

الاستنتاجات

بعد ان عرضنا بعض ما جاء في تلك المؤلفات من أفكار وردود عليها توصلنا لجملة من النتائج:

1- من ألوان الهداية التي مَنَ الله بها على الإنسان في القرآن الكريم القصص القرآني ،ففيه العبرة والموعظة الحسنة، والمعارف الاجتماعية والعلمية، كما انه سجل لتراث وحضارة الاقدمين ،فمنه عرفنا تاريخ البشرية بنواحيها الجغرافية والعلمية والفكرية .

2- عدم تبني أي فكرٍ جديدٍ إلا بعد المعاينة والتمحيص والرجوع لأهل الخبرة والاختصاص.

3- مناقشة كل الأفكار الوافدة علميا بعيدا عن التكفير والتسقيط وشق الصفوف، فالدليل العلمي هو معيار الحق الفاصل.

4- النهوض بالمجتمعات الاسلامية وتخليصها من الاساطير والخرافات والعادات الاجتماعية المقيتة وتخليصها من الجهل.

5- اعتراف اصحاب الاتجاه اللاواقعي في القصص القرآني بان هناك بعض القصص واقعية هذا من جهة، ووجود الادلة العلمية التي تفند رايهم من جهة اخرى كفيل بتقويض ما اسسوا له.

6- ابتعاد كل من الاتجاه اللاواقعي والاتجاه القصدي في القصص القرآني عن ما أُثر عن النبي صلى الله عليه واله واهل بيته عليهم السلام والصحابة الابرار، ورفضهم كل جهود علماء الامة كفيل بإضعاف ما ذهبوا اليه وتقويضه.

7- وجود بعض الجوانب اللاواقعية او القصدية في بعض الموارد القرآنية لا يعني ان يؤسس منهج قائم على تلك الجزئيات.

8- الادعاء بأسطورية بعض الآيات في الاتجاه اللاواقعي او ربط قصة ذي القرنين بشخصية كلكامش الملحمية من اسوا ما طرحته هذه الاتجاهات؛ لأنه بعيد كل البعد عن الادلة العقلية والنقلية.

9- إذا سلمنا بواقعية القصص القرآني فان ذلك يجنبنا اضاعة الجهد والوقت في بعض الدراسات التاريخية والعقائدية، فبحث علماء الآثار عن آثار قوم عاد مثلا يعد من الامور العبثية؛ لان القرآن الكريم اشار الى ان العذاب النازل بهم لم يبق منهم ومن اثارهم شيئا ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ الحاقة: ٨،اما في المسائل العقائدية فالقصص القرآني حسم مسالة وجود الجن التي انكرها بعض الباحثين و فسرها آخرون بحسب هواه، فقد اشار القران الى اصل خلقهم والى علاقتهم بالنبي سليمان والى اديانهم عندما استمع نفر منهم الى القران الكريم﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ الجن: ١، ﴿ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الأحقاف: ٣٠، وقد افرد القران سورة باسم الجن.

الهوامش:

[1] – مختار الصحاح: (ص: 254).

[2] – مباحث في علوم القرآن: (ص: 316).

[3] – علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم : (ص:353).

[4] – مباحث في علوم القرآن لمناع القطان: (ص: 317)والواضح في علوم القرآن: (ص184)

[5] – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): (330/1)

[6] – الفن القصصي في القرآن الكريم: (ص36)

[7] – مفاتيح الغيب: (250/8)

[8] – الفن القصصي:(ص 28)

[9] – تفسير المنار:(315/9)

[10] – المصدر نفسه:(165/2)

[11] – الفن القصصي:(ص52)

[12] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : (1/ 587)

[13] – درة التنزيل وغرة التأويل: (2/ 647)

[14] –الفن القصصي:(ص53, 183)

[15] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (4/ 83)

[16] – مفاتيح الغيب: (26/ 382)

[17] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (3/ 565)

[18] – أسرار البلاغة: (ص115)

[19] – ينظر:جامع البيان في تأويل القرآن: (11/ 230)

[20] – تفسير المنار: (3/ 44)

[21] – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: (7/ 37)

[22] – المنار تفسير المنار: (3/ 49)

[23] – الفن القصصي: (ص53)

[24] – تفسير المنار: (1/ 330)

[25] – ينظر: العلمانيون والقرآن:(560-562)

[26] –ينظر: فقه المرأة (141) – موقف القرآن من المرأة إيجابي أم سلبي؟ (3) الموقع الرسمي للسيد كمال الحيدري

[27] – المفردات في غريب القرآن (ص: 366)

[28] – الرمزية والمثل في النص القرآني: (16-17)

[29] – ينظر: تفسير الميزان : (218/14)

[30] – التمهيد في علوم القرآن:(20/3)

[31] – محاضرة مسجلة بعنوان حوار مع الملحدين(10) في12 شعبان/1437

[32] – محاضرة مسجلة بعنوان دروس في خارج علم الفقه /فقه المرأة(241)موقف القران من المرأة ايجابي ام سلبي (4)-9/ربيع الثاني/144(

[33] – فقه المرأة (142) – موقف القرآن من المرأة إيجابي أم سلبي؟ (4) الموقع الرسمي للسيد الحيدري

[34] – الرمزية والمثل في النص القرآني:(18–19)

[35] – الرمزية والمثل القرآني: (ص90–91) وينظر فقه المرأة (141) – موقف القرآن من المرأة إيجابي أم سلبي؟ (3)

[36] – ينظر: فقه المرأة (141) – موقف القرآن من المرأة إيجابي أم سلبي؟ (3)

[37] – الرمزية والمثل القرآني: (ص61– 97–98)

[38] – تفسير الميزان :الطباطبائي:(162/17)

[39] – تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد : (ص415)

[40] – ينظر: قصص الأنبياء: (254 –256)

[41] – موقع اعجاز القران والسنة https://quran-m.com/?p=654

[42] –الاحتجاج:(113/1)

[43] – فتح الباري: (60/7)

[44] – الموسوعة الحرة ويكيبيديا

[45] – ملحمة جلجامش والنّص القرآني, قراءة جديدة تكشف عن مرموزات المَلْحَمَة وفضائية رحلاتها :(ص11–12)

[46] – اصل الخلق وامر السجود بين الانا وبين الولاية والتوحيد:(ص22)

[47] – المصدر نفسه :(162)

[48] – مفارقة دلالة اللفظ القرآني في كتاب ((أصل الخلق وأمر السجود)) لعالم سبيط النيلي, مجلة دراسات البصرة:(ص143)

[49] – ملحمة كلكامش: النيلي(127)

[50] – ينظر: النظام القرآني: النيلي(ص41–43, 65–66)

[51] – ينظر :مجلة رسالة القلم: الشيخ غازي عبد الحسن السمّاك | العدد 45 / 2015

[52] – المصدر نفسه العدد 45

[53] – الكافي: الكليني: (1 /50)

[54] – ينظر مجلة دراسات البصرة(ص140)

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. الاحتجاج: احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، ت :محمد باقر الخرسان: دار النعمان – النجف الأشرف: 1386– 1966م.
2. أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
3. اصل الخلق وامر السجود بين الانا وبين الولاية والتوحيد: عالم سبيط النيلي، د ار المحجة البيضاء، ط 2004 .

4. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.
5. تفسير الميزان : محمد حسين الطباطبائي: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية،ايران – قم المقدسة ،د ط.
6. تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد،خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، بيروت– لبنان، 2005.
7. التمهيد في علوم القران: محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد ،ط الثانية ،منشورات ذوي القربى ،قم – ايران، د ط .
8. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.
9. درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني ت: محمد مصطفى آيدين الطبعة: الأولى، 142هـ.
10. الرمزية والمثل في النص القرآني: السيد كمال الحيدري ،بقلم الدكتور طلال الحسن، د ط.
11. العلمانيون والقران: د احمد ادريس الطعان ،دار ابن حزم للطباعة والنشر ،الرياض– السعودية ،الطبعة الاولى، 2007.
12. علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم : مؤسسة الهادي – قم– ايران ، الطبعة : الثالثة ، ربيع الثاني 1417.
13. فتح الباري: شهاب الدين أحمد بن علي بن العسقلاني ابن حجر ،دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية.
14. فقه المرأة (141) – موقف القرآن من المرأة إيجابي أم سلبي؟ (3) الموقع الرسمي للسيد كمال الحيدري.
15. الفن القصصي في القرآن الكريم. شرح وتعليق: خليل عبدالكريم، الانتشار العربي، بيروت – لبنان، الطبعة:الاولى :1999 .
16. قصص الأنبياء: سعيد بن عبد الله الراوندي ،تحقيق : الميرزا غلام رضا عرفانيان، مؤسسة الهادي، الطبعة : الأولى سنة الطبع : 1418.

17. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، الطبعة: الثالثة ، 1407 هـ.

18. مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، 1421هـ- 2000م

19. محاضرة مسجلة بعنوان حوار مع الملحدين(10) في12 شعبان/1437.

20. محاضرة مسجلة بعنوان دروس في خارج علم الفقه / موقف القران من المرأة ايجابي ام سلبي (4)–9/ربيع الثاني 1440.

21. مختار الصحاح زين الدين محمد بن أبي بكر ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد: المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1999م .

22. مفاتيح الغيب: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي: دار إحياء التراث العربي لبنان– بيروت، الطبعة: الثالثة ،1422هـ.

23. مفارقة دلالة اللفظ القرآني في كتاب ((أصل الخلق وأمر السجود))، مجلة دراسات البصرة: هيثم كاظم صالح ، العدد ١٨،السنة التاسعة /٠١٤ 2.

24. المفردات في غريب القرآن :حسين بن محمد الراغب الأصفهانى ،تحقيق: صفوان عدنان: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، الطبعة: الأولى – 1412 هـ.

25. ملحمة جلجامش والنّص القرآني، قراءة جديدة :عالم سبيط النّيلي ،إعداد فرقان الوائلي، الطبعة: الأولى،2004 .

26. الموسوعة الحرة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki /

27. موقع اعجاز القران والسنة https://quran-m.com/?p=654/

28. الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية، سوريا – دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ – 1998 .